

عاصم الجندي

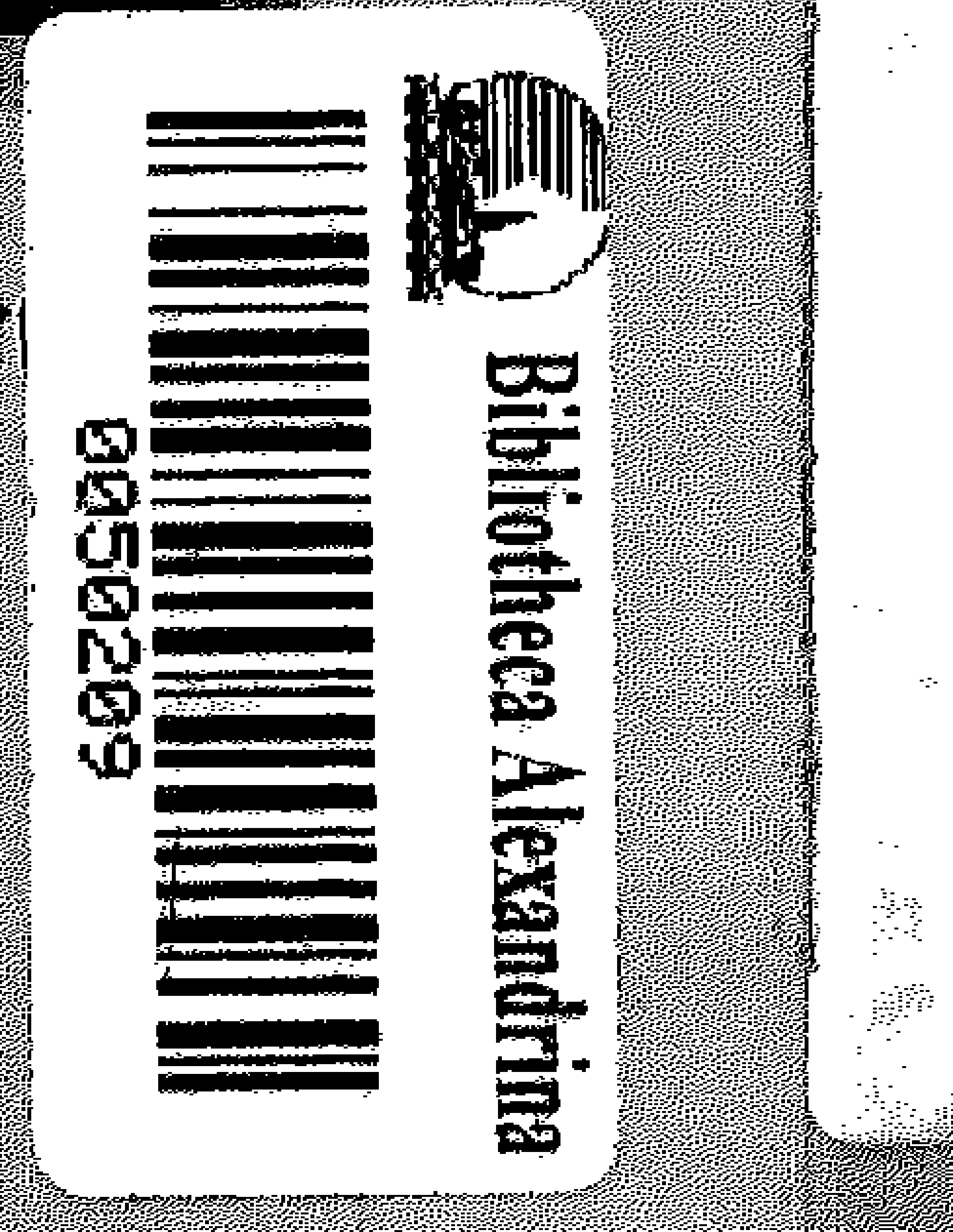
كارلوس
الوجه الآخر



اللقاء الوحيد في حياته



RIAD EL-RAYYES BOOKS

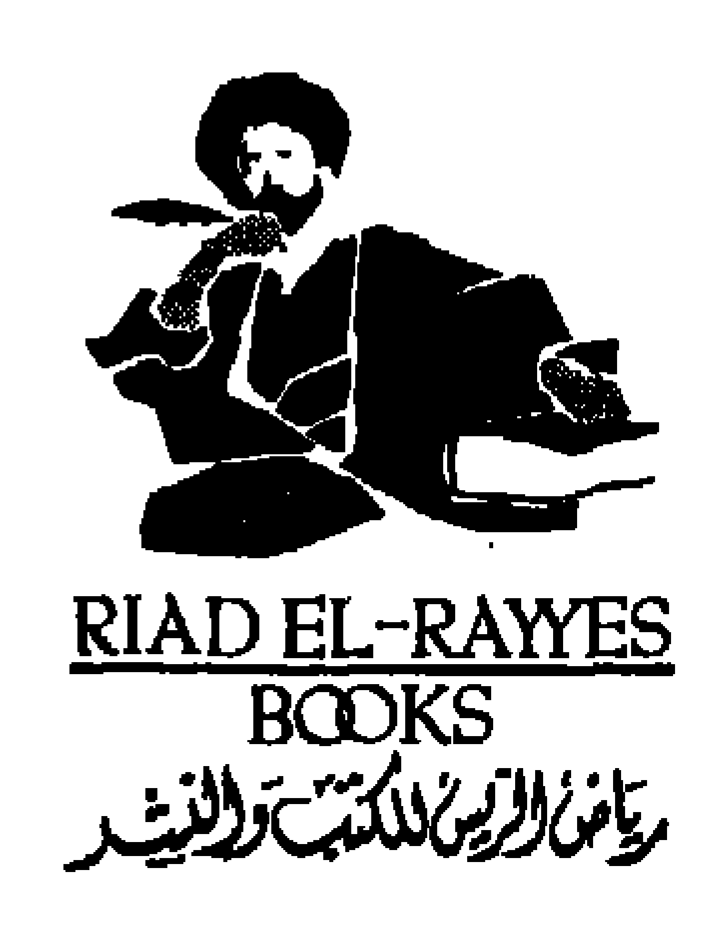


كارلوس
الوجــه الآخــر

عاصم الجندي

كارلوس
الوجه الآخر

قصة اللقاء الوحيد في حياته



RIAD EL-RAYYES
BOOKS
رياض الريس للكتب والنشر

CARLOS

THE ONLY INTERVEW

BY:

ASSEM AL-JUNDI

First Published in 1998

BEIRUT - LEBANON

British Library Cataloguing in Publication Data available

ISBN 1 85513 280 X

تصميم الغلاف: محمد حمادة

الطبعة الأولى: كانون الثاني/يناير ١٩٩٨

المحتويات

الفصل التاسع

الفصل العاشر

الفصل الحادي عشر

الفصل الثاني عشر

الفصل الثالث عشر

الفصل الرابع عشر

الفصل الخامس عشر

الفصل السادس عشر

الفصل السابع عشر

مدخل

الخوف

منذ أن افترقت عنه، تحديداً أواخر الشهر الأخير من العام ١٩٧٧[١]، كان ثمة هاجس يشغلني بشكل دائم، هو الخوف على صديقي كارلوس، أن يتحول، نتيجة اضطراره إلى التعامل مع عدد لا حصر له من الدول وأجهزة الدول، التي يحتاج إليها لتسهيل عملياته وتأمين الحماية له وحرية التنقل قبل وبعد كل عملية، أن يتحول، من عضو بارز في الكفاح المسلح العالمي أو الإرهاب السياسي العالمي، من إنسان يؤمن بوحدة الثورة العالمية المؤمنة بالعنف في مواجهة الإمبريالية، إلى مجرد «قاتل محترف» لمصلحة هذه الجهة أو تلك، نتيجة لضغوط ما، مادية أو معنوية.

كانت ثقتي به كبيرة، بعد أن عرفته لأكثر من عام، ونشأت بيننا صداقة عميقة، وأصبح بالنسبة إليَّ أكثر من أخ وصديق ورفيق فكر، فقد كنت متعاطفاً مع هذا النوع من الكفاح أو «الإرهاب السياسي» كما شاعت التسمية، رغم أن سلاحي هو القلم، ولا أعرف كيف أستعمل المسدس، إذا كان عليَّ أن أستعمله.

رغم هذه الثقة شبه المطلقة، بأخلاقية صديقي، وإيماني أنه يفضل الانتحار قبل أن يخسر نفسه، كما فعل كثيرون غيره، إلاّ أن الهاجس ظل يراودني، ويعذب تفكيري في أحايين كثيرة.

هل يعقل أن يتحول، ذلك الفتى المشحون بالكبرياء والاعتداد بالنفس والتحدي للموت القادم في أية لحظة، هذا الإنسان الذي تآلف مع صورة الموت المفاجىء، مع الخطر الداهم، فتعامل معه بلا مبالاة كبيرة، وبشيء يكاد يشبه الألفة التي تتأتى نتيجة لطول المعايشة. هل يعقل أن يتحول هذا الفتى المشحون بالتوتر الدائم والعناد، إلى مجرد تابع لهذا الجهاز أو ذاك، لهذه الدولة أو تلك، يأتمر بأوامرها، فينحرف عن خط فكره ونضاله، الأكثر عنفاً في العالم، ويبيع نفسه لـ «الشيطان»؟!

وجاءت نهايته هذه الأيام، أقصد اعتقاله بالشكل الذي اعتقل فيه، لتؤكد لي أن صديقي كارلوس لا يزال هو هو، ذلك الإنسان الذي رهن حياته لقضية، آمن الآخرون بها أم لم يؤمنوا، وأنه سيظل حتى النهاية مؤمناً بمبادئه، بمبادئنا، التي بنيت على مكافحة إرهاب الأمبريالية والصهيونية بإرهاب مقابل، هو الأكثر صدقاً ونبلاً، المؤمن بانتصار الفقراء، في كل أنحاء العالم، في مواجهة الرأسمالية وأعداء الإنسان.

نهاية كارلوس، أقصد اعتقاله ـ فالأعمال النبيلة، والإيمان بقضية لا نهاية له ـ غمرت القلب بعاطفتين: الحزن العميق لأنه اعتقل أخيراً، خصوصاً بعد أن رأيت صورته التي قيل إنها أخذت له في السودان، وقد بدا عليه أثر الزمن، ترهل قليلاً، خفّ شعره، وبدا عليه الحزن، الحزن المكابر...

أما العاطفة الثانية، فهي الفرح العميق، لأن صديقي، لا يزال ذلك الصديق الذي افترقت عنه، شامخاً ونبيلاً، ويلهو بحياته كما يلهو بأوراق اللعب، في مغامرة جميلة محفوفة بالخطر الدائم، في سبيل قضية يؤمن بها، ولو كان على خطأ، إنه الإيمان الذي يعرف كيف يمازج بين الحياة والموت، وتصبح موضوعة الموت مجرد ملهاة وفكاهة طريفة...

فلو أن كارلوس، ساوم على مبادئه، «استزلم» لهذه الدولة أو تلك، لهذا الجهاز أو ذاك، لعاش قرير البال، ينعم ببحبوحة من العيش والاستقرار. ولما كانت «الصفقة» قد تمت على حسابه، بالشكل الذي تـمّت فيه.

قال الرئيس السوداني، أنهم عرضوا عليه المغادرة إلى الجهة التي يحب

باعتباره شخصاً غير مرغوب فيه. فكان جوابه «لم يبق لي من مكان في هذا العالم، وليس هناك من دولة تقبل باستقبالي» ورفض أن يغادر حتى كان تسليمه بالشكل الذي تم، الذي اعتبره هو «اختطافاً»، كما قال في المحكمة مؤخراً. فعلاً لقد ضاقت رقعة العالم أمام كارلوس، أصبحت كراحة اليد الواحدة. لعل على المرء أن يشكر الظروف، التي جعلته «يقيم» في سجن «حضاري» وإلاّ لكان وضعه في غاية الصعوبة لو أنه حلّ في أحد سجون العالم الثالث.

الهوامش

(١) كنت حتى الآن، ورغم مرور السنين، أتردد في ذكر البلاد التي التقيته بها. ولكن الآن، وبعد أن كشفت الأشياء. وتناقلتها كل وسائل الإعلام في العالم، لم يعد التكتم ضرورياً في هذا الأمر.

لقد التقيته في العراق العام ١٩٧٦ ـ ١٩٧٧ وكانت معظم لقاءاتي به تتم في بيتي الكائن في حي المسبح، القريب من النهر. وكانت أمسياتنا في معظمها تنقضي في حديقة البيت، تحت شجرة نخيل عتيقة وارفة الظلال. وكثيراً ما «تسكعنا» في بعض الأمسيات في الحديقة العامة القريبة، على ضفة نهر دجلة.

الفصل الأول

لماذا لم أنشر الكتاب في حينه؟

كان الاتفاق بيني وبينه، أن أكتب نوعاً من الرواية الوثائقية عنه، وليس مجرد لقاء صحافي، طال أم قصر. وكانت رغبته حارة في موضوع الكتاب. ولكنه، أيضاً أرادها خدمة لصديق وهو يودعه، أن يتحصل منه مردود مادي، في نوع من «الكادو» من العم كارلوس لأطفالي. مع إشارة ذكية منه (لا تبالغ في الاهتمام بالمادة. هو سيرد عليك شيئاً ولا ريب. ولكن الأهم أن ينشر بالصيغة المقبولة. أعرف أنك لا تهتم بالمادة كثيراً، ولكن لا بد من أن أنبهك، المهم هو الطريقة الملائمة لنشره).

حين اتصلت بي مجلة «الوطن العربي» من باريس، لنشره كمقابلة صحافية طويلة. أرسلت له رسالة مع صديق مشترك. وعاد ذلك الصديق ليقول لي: إنه موافق على النشر. وقلت حسناً. أنشره كتحقيق صحافي، وبعد الانتهاء من النشر، أعيد فيه النظر، وأعاود نشره ككتاب. ولكنني فوجئت بعد ظهور الحلقة الأولى بزيارة نائبه لي، وقد جاء ليبلغني انزعاجه من النشر. أذكر أنني سألته: لماذا؟ وهل «سرقتكم»؟ قال: أبداً. وكنت شخصياً أراكما تسهران

معاً، هو يتحدث وأنت تكتب. ليس هذا هو الموضوع، إنما أزعجه التوقيت. ليس هذا هو الوقت المناسب. (كان النشر في ٣٠ تشرين الثاني/ نوفمبر، و٧ و١٤ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٧٩). ثم لماذا لم تخبره بموعد النشر؟ قلت: والرسالة التي أرسلتها لكم! قال: لم تصلنا أية رسالة. وكانت المفاجأة. لم أعاتب ذلك الصديق، لم أسأله لماذا لم يوصل الرسالة؟ ولكنني كنت متأكداً من عدم وصولها. قلت: وما الحل؟ قال: أن توقف كل شيء. قلت: ولكن الحلقة الثانية في طريقها إلى الأسواق الآن. سأوقف كل شيء على أية حال. وفعلاً اتصلت بالمجلة وقلت: توقفوا. لا أتحمل المسؤولية بعد. ثمة شيء خارج عن إرادتي. وعاد صاحب المجلة للاتصال بي. طالباً أن أمنحه الفرصة للتوقف بحلقة أخيرة، لأنني سأضعه في ورطة مع المعلنين، ووافقت على مسؤوليتي الشخصية، أن ينهي الموضوع بحلقة ثالثة. كان الاتفاق مع المجلة أن ينشر الموضوع في سبع حلقات. مقابل مبلغ متواضع لكل حلقة، مع شرط في «الكونترا» يقول: إن من حقي أن أنال ٣٠٪ من كل ما تحصله المجلة نتيجة استثمارها للموضوع. ودفعت المجلة ثمن الحلقات الثلاث فقط ولم تحقق البند الخاص بالحقوق. رغم أنني علمت أن صاحبها ربح ثروة حقيقية من بيع الصورة إلى اليابانيين، ومن نشره في مكان آخر متزامن مع نشره في باريس. كما حصل على مبالغ طيبة من الإعلانات التي لا أعرف إن كانت تدخل تحت بند «الاستثمار». (أحصيت في أحد الأعداد ٥٨ صفحة إعلان).

بعد أشهر تعرضت للاغتيال في بيروت بكاتم للصوت، رغم أن إصابتي في رأسي كانت قاتلة، فقد نجوت من الموت بأعجوبة (لديَّ رواية جاهزة في دار للنشر ببيروت، كانت ستنزل إلى

الأسواق قبيل اعتقال كارلوس. وقد أوقفت نزولها مؤقتاً لأنتهي من هذا الكتاب وعنوانها «الاغتيال»).

حينما ذهبت للمعالجة في باريس (وقد تكفّلت منظمة التحرير الفلسطينية بعلاجي، فأنا ما زلت وسأبقى فقيراً حتى آخر العمر) مررت بالمجلة واستقبلني صاحبها استقبالاً مبالغاً في حرارته. ولكنه لم يأت على ذكر حقوقي في الاستثمار. حين نزلنا من عنده سألتني زوجتي: لماذا لم تسأله عن حقوقك؟ قلت: إذا سألته وقال: ليس لك عندي حقوق، فماذا يكون الموقف أقيم عليه دعوى في المحاكم؟ أسأله حين تكون لي السلطة للتأثير فيه، وإلاّ فلا. هذا يعني أنني خرجت من كل عملية النشر في حينه بمجرد مبلغ تافه. وهكذا قررت ألاّ أنشر الكتاب، إلاّ إذا اتصل بي كارلوس شخصياً، وطلب إليّ ذلك. وانقطعت الصلة بيننا. لقد مرّ على افتراقي عنه ثمانية عشر عاماً. ولكنني ظللت أعتبره صديقاً، فأنا لا أبيع صداقاتي بسهولة، ولكنني ظللت أعتبر أن ثمة «جفوة» بيننا، كان يجب أن تكون عابرة، ولكنها طالت عشرين عاماً.

الفصل الثاني

ولماذا النشر الآن[1]

حين سمعت باعتقاله، وبالصورة التي تمّ فيها، والضجة العالمية التي قامت حوله، وكلها معادٍ له، قلت: جاءت اللحظة المناسبة، لأؤكد فيها إخلاصي لصديق قديم في أمسّ الحاجة الآن إلى الأصدقاء (ربما كنت الصديق الوحيد في العالم هذه الأيام رغم افتراق عشرين عاماً) وأنه لا بد من تقديم صورة مغايرة، الجانب الآخر من الصورة، إلى العالم في زحمة الضجيج والصخب الدائرين من حوله بُعيد اعتقاله.

أنا لن أكون محامياً عن كارلوس كما قد يتصور بعضهم. وأنا لن أذهب بعيداً وراء صداقتي له. أريد أن أقدم الصورة كما أراها، وبأكثر ما أستطيع من موضوعية. إنصافاً له وللحقيقة. هذا شيء هام جداً، يجب أن يعرفه كل من يقرأ كتابي هذا.

ثمة ناحية ثانية لا بد من التوقف عندها. فأنا أعرف أن الكتاب لم يعد جديداً، بما فيه الكفاية، لأن مقاطع لا يستهان بها قد نشرت في تلك المجلة بباريس العام ١٩٧٩. أولاً، ولأن معظم المعلومات التي فيها، خصوصاً عمليات تلك الأيام، وهي أهم عملياته على أية

حال، ستعرف خلال المحاكمة التي تجري له وقد تطول كثيراً. وما نشر في تلك المجلة موجود في كل «أرشيفات» العالم. وقد بدأ العديد من الصحف والمجلات، عربياً وعالمياً، بإعادة نشره.

الأهمية القصوى، وربما الوحيدة، لنشر هذا الكتاب الآن. هو أنه نصّ مأخوذ من كارلوس مباشرة. وبعد معايشة أكثر من عام، وخلال عدة جلسات طويلة وسهر أخريات الليالي. أي أنه النص الوحيد الحرفي والحقيقي، الذي شارك فيه كارلوس شخصياً ومنذ ذلك التاريخ. وقد فوجئت هذه الأيام، أنه لم يعطِ أي تصريح صحافي أو غير صحافي في حياته. وأن الشخص الوحيد في هذا العالم، الذي وثق به، وأعطاه صورة تكاد تكون متكاملة عن تاريخ حياته وعملياته ونشاطه هو أنا فقط.

أذكر بعد أن انتهينا من تسجيل مادة هذا الكتاب، أنه حمل معه في آخر ليلة لنا، مجموعة من الصور الصغيرة له، ست صور بالتحديد، وكلها من نوع «صورة الباسبور» وقال: انتق واحدة منها من أجل الكتاب!

قلت: أمجنون أنت؟ تنشر صورتك الحقيقية على الملأ!

قال: صورتي أصبحت معروفة. فهناك تلك الصورة المأخوذة عن رخصة قيادة، قد وزعت في كل العالم، وهي حقيقية. من غير صورة، لا قيمة لكل ما عملناه، لا دليل حسياً له. وأخذت تلك الصورة التي نشرت في المجلة الباريسية وقد كتب عليها ذلك الإهداء الطريف:

«إلى شاعر رائع، من تلميذه شعرياً.. كارلوس» بينما كان يكتب على كل بطاقة يتركها لي، في حال جاء إلى بيتي ولم يجدني

توقيع: سالم، الذي كان يعرف به أيام ذاك، في البلاد التي التقينا فيها.

إذاً، أنا أنشر كتابي عنه الآن، فقط، لأقدم وجهاً آخر للصورة. لأن كل دول العالم، وأجهزتها، تحاول هذه الأيام أن تقدم صورة مشوّهة لـ«الإرهابي» ومن حق الناس علينا، أن يعرفوا الجانب الآخر. أن يعرفوا في كارلوس الإنسان العادي والحقيقي، الذي دفعه إيمانه، حتى وإن كنت لست معه في ما يؤمن، إلى عمل كل ما عمله في حياته.

أفرحتني أخبار سجنه، لأنه لا يزال متماسكاً، يتصرف كما يجب أن يتصرف الرجل، في مواجهة ما يتعرض له من سجن وتشويه لصورته. لقد وجد الأمبرياليون فرصتهم أخيراً، ليشرّفوا أنفسهم على حسابه. أعرف أن ضحايا كثيرة، وبريئة، سقطت في زحمة العمليات التي قام بها كارلوس، ولكنها ظروف الحرب التي كان يخوضها.

هل خطر ببال أحد أن يسلط الأضواء، مثلاً، على آلاف القتلى الذين سقطوا في صبرا وشاتيلا، أيام الاجتياح الإسرائيلي للبنان؟ هل خطر ببال أحد أن يسلط الأضواء على ٥٢ قتيلاً في قرية كفرقاسم الفلسطينية (لديَّ قصة عنها تحولت إلى فيلم سينمائي). أو قرية دير ياسين حيث سقط فيها ١٥٢ قتيلاً، منهم أطفال مدرسة بكاملها (لديَّ كتاب حولها أيضاً). وقد كان رئيس القوة المهاجمة مناحيم بيغن (الذي نال جائزة نوبل للسلام فيما بعد) يعاونه إسحق شامير رئيس وزراء إسرائيل السابق (لماذا لم يعطوه جائزة نوبل هو الآخر!) وقد استعملا البلطات في تمزيق جثث الضحايا؟

هل خطر لأحد، مؤخراً أن يسلط الأضواء على مجزرة الحرم الإبراهيمي في الخليل؟ هل خطر لأحد أن يسلط الأضواء على كل المجازر التي ارتكبتها أميركا في فيتنام؟ حاملة لواء السلام هذه الأيام! وماذا عن قنبلة هيروشيما في نهاية الحرب العالمية الثانية في اليابان؟!

كم نحن منافقون ودجّالون، دون أن ننتبه في أغلب الأحيان، في مواجهة الجريمة!

أنا شخصياً، أحاول أن أتابع معركتي مع أعدائنا الصهاينة والأمبرياليين عبر الصراع الفكري والتاريخي والحضاري. فالمعركة مستمرة وسيطول أمدها. أحاول أن أترك للأجيال القادمة مادة للصراع الطويل والمستمر، وليعملوا «السلام» الذي يريدون، السلام على الطريقة الأميركية، فهو سلام أنظمة وليس سلام شعوب. ولكنني، في الوقت نفسه، مؤمن بأسلوبك أي كارلوس، ولو لم يوافق عليه العالم أجمع، علينا أن نضرب أعداءنا، بالقلم والمسدس، حتى لأوشك أحياناً أن أقول مع شاعر العرب الكبير أبي الطيب المتنبي:

حتى رجعت وأقلامي قوائل لي
المجد للسيف ليس المجد للقلم

أنا أعرف أنهم باعتقالك، ومحاولة تشويه ماضيك، وتسخير كل إعلام الغرب والصهيونية (إسرائيل تحاول أن تأخذ موقف البريء من كل ما يجري) لاضطهادك وهلهلة الصورة، الهالة، التي أحاطت بك لأكثر من عشرين سنة خلت، لأنهم يحاولون «بهدلة» آخر رموز تلك المرحلة، التي كنت واحداً، من ألمعها، مرحلة العداء السافر والعنيف وغير المهادن. لهذا، سعدت حين عرفت، وأنا أتسقط أخبارك في السجن، أنك متماسك وقوي، وتعرف كيف

تتعامل مع «اللعبة» ككل. إنهم لا يريدونك غيفارا جديداً. يريدون أن يحولوك إلى مجرم عادي، لا قضية له. إنهم يريدون تخريب ذاكرة العالم.

ثمة كلمة تقول: «الانتصار له ألف والد والاندحار طفل يتيم» فهم حتى الآن، وبعد مرور نصف قرن على نهاية الحرب العالمية الثانية، لا يتوقفون عن إلصاق أبشع الجرائم بالنازية ولكنهم، ولا مرة واحدة، يشيرون أو يسمحون لأحد، بالإشارة، ولو بشكل عابر، إلى قنبلة هيروشيما (أفلام هوليوود لا همّ لها سوى تشويه النازية، و«بهدلة» الهنود الحمر وإظهار اليانكي الأميركي على أنه أسطورة). إنهم تلاميذ أوفياء لمبادىء غوبلز، الإعلام النازي: «ردد الكذبة أربعين مرة تصبح حقيقة». فمتى يعلم جهابذة الإعلام الأميركي والصهيوني، أن الكذبة ستظل كذبة ولو رددتها آلاف المرات. وأن التاريخ لا يرحم!

كن متماسكاً يا صديقي. وحاول أن تحوّل المحاكمة إلى وسيلة لإدانتهم وإفشال مخططاتهم لـ«شرشحة» رموز المرحلة التي مرت، والتي كنت واحداً من أبرز رموزها. فهذا جزء من معركتك أيضاً، وربما كان أهم فصل فيها.

أخيراً، لماذا تقيم الدنيا، أميركا والغرب من ورائها، على كل دولة تحاول أن تتسلح بالذرّة. والعالم كله سمع ويسمع بالضجة التي يثيرونها حول كوريا الشمالية، لأنها تحاول ذلك. ومجلس الأمن العتيد، يسير في ركاب أميركا كالخادم المطيع. كل دولة عربية حاولت تطوير أسلحتها، نالها ما نالها من عقوبات وتنديد وقرارات الأمم المتحدة (ليبيا والعراق وسواهما). فهل سأل أحد، لماذا تسكت أميركا ومن ورائها مجلس الأمن عن إسرائيل التي تمتلك أكثر من

مائتي قنبلة ذرية في مصنع ديمونة في صحراء النقب، وهي حتى الآن ترفض التوقيع على معاهدة الحدّ من الأسلحة الذرية، وترفض حتى مجرد السماح لمفتشي الطاقة الذرية بالكشف على مفاعلها الذري في ديمونة. صيف وشتاء على سطح واحد، ومجلس الأمن مصاب بالعمى والصمم، حسب إرادة أميركا والغرب.

تماسك يا صديقي، فهذا أوان التماسك، في وجه أعدائنا، أعداء الشعوب الضعيفة.

كيف وقع كارلوس في الفخ. لم يكن في يده حيلة كما أظن. كان هناك في الماضي، الاتحاد السوفياتي (حامي الشعوب الضعيفة) واأسفاه! وكانت هناك دول الكتلة الشرقية، وكان هناك أكثر من دولة عربية (لن نسميها بأسمائها)، وكلها كانت تفسح له في المجال رحيباً، حين يعوزه الملجأ. الآن، ذهب كل ذلك، ضاقت عليه دائرة الدنيا، وصار من السهل الإيقاع به.

شخصياً أنا معجب «بعبقرية» الأجهزة السودانية، وكذلك الفرنسية. أنا أعرف، وأنت تعرف، وحتى «الهبل» يعرفون، أن القضية أكبر من ذلك. إن رائحة المؤامرة تزكم الأنوف، والصفقة كانت أكبر من السودان وأجهزته...

الهوامش

(١) من أسباب النشر أيضاً، أن أجزاءً من ذلك اللقاء في مجلة «الوطن العربي» أعيد نشرها من جديد، وفي معظم وسائل الإعلام العالمية، وقد كثر اللغط حول «حكايتي» مع كارلوس، وظهرت معلومات مغلوطة في معظمها، أقلها يقول: إن كارلوس هو من اغتالني. وجاء النشر لإيضاح الحقائق ووضع الأمور في نصابها. إنه نوع من الرد «المهذب» على كثير من الترهات التي تناقلتها وسائل الإعلام، والتي تطاولني شخصياً، قبل ان تطاول كارلوس، وكان لا بد أن أقول كلمتي في النهاية.

الفصل الثالث

اللقاء ـ الرواية الوثائقية

كما أسلفت، لم يعد لذاك اللقاء، والذي مرّ عليه الآن قرابة عشرين عاماً، من قيمة معلوماتية ذات أهمية استثنائية، وأن أهميته لا تزال تكمن في كونه اللقاء الوحيد في تاريخ كارلوس خلال ربع قرن من الزمان، الأمر الذي فاجأني شخصياً، هذه الأيام. يا ألله، كم كانت ثقته عظيمة بي إذاً! سامح الله ذلك الصديق الذي لم يوصل رسالتي إليه. فحصل ذلك الإشكال وتوقفت عن النشر.

من أين أبدأ؟

من الحديث نفسه، الذي أصبح بعضه موزعاً في كل أرشيفات العالم. سأعيده كما هو، مع بعض الإضافات الضرورية، التي تنسجم مع ما استجد وما يمكن أن يكون قد غاب عن البال إبّان تسجيله تلك الأيام، مع العلم، أن تلك المجلة وبعد أن أبلغتها ضرورة التوقف، لم تنشر كل اللقاء، وإن حاولت في الحلقة الثالثة، التي جاءت طويلة، أن تتدارك ما تستطيع تداركه. ولكن بقي فيه أجزاء هامة، كعملية الأوبك مثلاً.

«لقد ظلمت كثيراً في كل ما كتب عني. وهأنذا أضع حياتي، تاريخي المتواضع بين يديك، فتصرف. لم يسبق لي أن فعلت ذلك. أحسست أنك شيء مختلف عن الآخرين، فوثقت بك، على قلة ما أثق بأحد..».

هذه كانت كلمات كارلوس، في أول جلسة لنا، لتسجيل سيرة حياته، كما رواها هو لي. الطريف، أننا كنا نتفاهم بلغتين، هو بعربيته الركيكة، وأنا بإنكليزيتي التي قد لا تقل عنها ركاكة. ولكن النتيجة أن الأمور كانت تصبح في غاية الوضوح كمحصلة للحوارات الطويلة، التي كنا نخوضها، في سهراتنا منفردين أخريات الليالي.

سمعت أن كتاباً صدر في لندن عنه. يقول فيه الكاتب أنني الوحيد الذي التقيته. ولكن، صديقاً سابقاً لي، تبرع «مشكوراً»، أن يزود ذلك الكاتب بمعلومات فيها الكثير من الخلط. والكثير من المباهاة بدوره الشخصي، كعادته، مع أنه كان يعرف عنواني وهاتفي في قبرص فلم يتصل بي ولم يعط الكاتب البريطاني العنوان والتليفون. وقد جاء في هذا الكتاب أن ذلك الصديق، عرف أن أوضاعي المادية صعبة، فتدخل لدى كارلوس لإقناعه بإعطائي حديثاً، كمساعدة لي، سامحه الله أيضاً، فقد صورني في وضع بائس، أستحق الشفقة، وكان هو «الشهم» الذي أشفق وتوسط.

للحقيقة وللتاريخ أقول هنا: إن اللقاء المطول، الذي جرى بيني وبين كارلوس، لم يكن لأحد دخل فيه. ولم يكن أحد يعرف به في البداية. وأنا شخصياً لم أكن أفكر في شيء من هذا. ولكنه هو، أي كارلوس، خطر بباله ذلك، حين عرف أنني أعمل على تهيئة الظرف الملائم لمغادرة البلاد التي التقينا فيها. وأننا قد لا نلتقي

مجدداً أبداً. والفكرة كانت لا علاقة لها بالصحافة. كان المشروع رواية وثائقية، وهي ستكون الوثيقة الوحيدة التي شارك فيها كارلوس بنفسه.

لم يكن لأحد فضل في مشروعنا إذاً. كان شيئاً حصل فجأة، وبشكل عفوي، ودون أي تخطيط، ولعل هذا أجمل وأهم ما فيه. التقيته أكثر من مرة. وما كان يخطر لي، أن هذا الشاب الأنيق، البالغ التهذيب، هو كارلوس الذي «ملأ الدنيا وشغل الناس».

بعد عدة لقاءات، وقعت في يدي جريدة مصرية، كتبت مقالاً مطولاً عنه، في صفحتها الأخيرة، تحت عنوان: «نهاية ثعلب»، مع صورة له بنظارات طبية. وتتحدث فيه عن نهاية مزعومة له. إنها الصورة التي استطاعت الشرطة الفرنسية التقاطها له في يوم ما، بمساعدة ميشيل مكربل، وقد عممت فيما بعد على كل أجهزة المخابرات والأنتربول في العالم.

أشاعت الأجهزة الأميركية دائماً، أن كارلوس يقوم من حين إلى آخر، بإجراء عمليات تجميل لإخفاء شخصيته. الفكرة سخيفة، وهو لم يجر أية عملية في حياته من هذا القبيل. كل ما هنالك أنه كان يطيل ذقنه أحياناً، مرات يكون «بشوارب» ومرات لا. مرات يضع نظارات، وأحياناً لا يضعها. هذا هو كل «التخفي» الذي كان يلجأ إليه. كان في وجهه نوع من «البراءة» والبساطة والوسامة، التي كانت تحميه، ولا تجعل الآخرين يشكون ولو للحظة واحدة أنه كارلوس «المخيف».

في البداية لم أنتبه للأمر. ولكنني عدت للتحديق في تلك الصورة. إنه سالم، سالم هو كارلوس! وتأكد لي، أن صديقنا الطيّب، البالغ

التهذيب، الحيي، «**التلميذ الطيب**» كما تعود أن يقول عن نفسه مازحاً، إن هو إلاّ كارلوس، الذي أصبح مع الزمن شبه أسطورة أو إنساناً من عالم الخيال، وسالم هو واحد من أسمائه الكثيرة.

في أول لقاء جديد لنا، صارحته بالأمر، فاعترف ببساطة وصدق وثقة، أنه هو. وتكررت اللقاءات، وأصبحنا صديقين.

كان غالباً ما يطرق بابي في أوقات متأخرة من الليل. ونبدأ في الشراب والحديث حتى ساعات الفجر الأولى. وكثيراً ما كان ينام عندي في مثل هذه الحالات. وإن كان يفضل الذهاب إلى بيته السري، والذي زرته فيه مرة واحدة فقط. وكان عليَّ دوماً أن أنتظر إطلالته المفاجئة، بعد يوم أو يومين أو أيام أحياناً.

لا أنسى يوم طرق بابي حرسه الخاص في الخامسة صباحاً، وكانوا في غاية الاضطراب: «هل هو عندك؟ إننا نبحث عنه في كل مكان ولا نعثر له على أثر».. وضحكت، قلت: أجل هو عندي، ولكنه نائم، فهل من ضرورة لأوقظه؟ وأفرخ روعهم، فقالوا: لا. شكراً، وانصرفوا بعد أن قضوا الليل في البحث عنه، في حين كنا معاً، نحكي، نشرب، وأحياناً نلعب البوكر، ولكن بمبالغ صغيرة رمزية تزجية للوقت. يبدو أنها لعبته المفضلة، وأنا لم أعد إلى هذه اللعبة منذ أن غادرته قبل عشرين عاماً.

لا بأس من قطع الحديث، للتوقف عند هذه الزاوية.

كان يحب البوكر كثيراً، ولكنه لم يكن يفكر في الربح، كان يحب اللعبة فقط بدليل أننا كنا نلعب بمبالغ صغيرة جداً.

لم أر في حياتي لاعباً بمهارته. وكان يستعمل التركيز الرهيب الذي يمتلكه، لحصر اللعبة والإلمام بكل تفاصيلها أثناء اللعب. أذكر مثلاً،

أن النقود الفضية، كانت تتجمع أمامنا كومة، حين يكون هناك لاعبون آخرون. وكنا حين نريد حساب الكومة. يقول: لا حاجة ففيها كذا.. ويحدد العدد بدقة. وكنت كعادتي أعابثه، أو أعانده أحياناً. أصر على احتسابها. وكم كانت دهشتي كبيرة، إن تحديده لها، دون أن يمد إليها يداً، يجيء بالتمام والكمال! إنه لا يحصر لعب اللاعبين والأوراق التي ترمى فقط، بل هو يحصي كل قطعة ألقي بها على الطاولة، وفي النهاية يعرف المجموع بدقة.

أذكر مرة، وكنا نلعب في بيت نائبه، وكان هناك عدد من اللاعبين، وأحسبهم جميعاً من تنظيمه الخاص، أني شربت أكثر من الحد المعقول بعد أن طالت السهرة، وكنت أمهر الخاسرين. وفجأة قال: انتهت اللعبة ومد يده إلى «الكاش» ليتصرف فيه. قلت: ولكن أين الدورة الأخيرة (last round)؟ فهذه عادة اللاعبين أن يعلنوا عن هذه الدورة الأخيرة، لعل الحظ يؤاتي الخاسرين لتعويض شيء من خسارتهم. قال: لقد أعلنا عنها. قلت: ولكنني لم أنتبه. ويبدو أنني كنت أتحدث بشيء من العصبية. وكان هو يريد بأي ثمن ألا يدخل في نقاش من هذا القبيل أمام الموجودين. قال ضاحكاً: يبدو أن الويسكي بدأت تتكلم، فما كان من «جنابي العنيف» إلاّ أن أخذت الكأس الذي أمامي، ورشقت ما فيه على الحائط قائلاً: كي لا تتكلم الويسكي بعد.

لم يقم بأي تصرف. تابع بهدوء ما كان فيه. وأنا شخصياً خجلت من فعلتي، وحاولت تجاوز الأمر. انتهت السهرة، وقام يمازحني كعادته، ويودعني إلى الباب. كانت الساعة قد تجاوزت الثانية بعد منتصف الليل. ذهبت إلى البيت، وفي مثل هكذا سهرة، من عادتي أن أستيقظ متأخراً.

في الساعة الثامنة تماماً سمعت طرقاً على الباب، خرجت وفتحت. وإذا به ووجهه يتهلل ضاحكاً، يسحب مسدسه ويضعه خلف أذني بعد أن أغلق الباب، قائلاً: على طريقة أفلام الكاوبوي سأقتلك لا لشيء بل لأنك صديقي (I kill you for nothing because you are my friend) مستعملاً كلمة (يونا) (you na) على طريقة جنوب أميركا. وحين استقر بنا المقام، رجاني حيياً، ألاّ أحاول مستقبلاً الدخول معه في أي نقاش حاد أمام جماعته. وأن أوفر مثل هذا الشيء، إن كان له من ضرورة، إلى حين نلتقي منفردين.. هكذا كانت تمر الأيام بنا. وهكذا كنا نتعامل كأخوة وأصدقاء...

حين طرحت بيننا فكرة الكتاب ـ الرواية الوثائقية، (لم أعد أذكر بالدقة من طرحها أولاً) قال لي الكلمات الدافئة التي أثبتُّها سابقاً.

أكثر ما يميز شخصيته، والذي جذبني إليه أكثر من أي شيء آخر، هو نوع من الفروسية الرومانسية، إذا جاز التعبير. كانت كل الأشياء تبدو تافهة لعينيه، كرمى لعيني صديق. وكان واضحاً وصريحاً كحد السيف. وجمّ التهذيب في آن، في صداقته.

علاقته بالأطفال غريبة. تحسه يكاد يتلاشى لهفة أمامهم. وحين يتعرف إلى أطفال عائلة صديقة، وقد لا تعرفه على حقيقته، تصبح أفضل الأوقات لديه، هي تلك التي يمكث فيها بين أولئك الأطفال. وكان لا يمل من حمل الهدايا لهم ومداعبتهم وغمامات من الحنين الشفيف، الممزوج بالحزن والفرح العميقين، تطوف في عينيه وهو مع الأطفال. ربما هي نتيجة لطفولة محرومة في ماضيه البعيد، ربما هي ذكرى ابنته التي لم يلقها يوماً، ولا يعرف حتى اسمها الذي أطلقوه عليها.

حين تعرضت للاغتيال في ١٩٨٠/٦/١٩، سمعت أن شائعات تتردد عن أن كارلوس قد يكون هو من حاول اغتيالي. لقد ظللت حوالى شهر ونصف الشهر في نوع من «الكوما»، غائباً عن الوعي. وحين عدت إلى وعيي، سمعت بذلك فكنت أقول تعليقاً على ذلك، الكلمات التالية حرفياً: أنا أعرف أنه ليس من حاول اغتيالي، وهو يقطع أصابعه الأربع (لم أكن أقول الخمس بل الأربع) قبل أن يصوب مسدسه إلى رأسي. ولو كان هو من حاول اغتيالي لما كنت الآن على قيد الحياة، كنت أقول ذلك لمعرفتي أنه أفضل من صوّب مسدساً، في العالم ربما، فهو على استعداد لأن يصيب أي هدف، ثابت أو متحرك، وهو يقوم بوثبات القتال المعروفة، مائة بالمائة، دون أي احتمال للخطأ.

بعد عامين عرف بوجود صديق أو قريب لي في برلين (ألمانيا الديموقراطية سابقاً) فسعى إلى التقائه. وبعد أن أخبره عن شخصيته الحقيقية، طلب إليه أن يبلغني الرسالة التالية: «**قل له إنه يظل صديقي، رغم الجفوة التي بيننا. أنا لم أحاول اغتياله. وأنا أقطع أصابعي الأربع (لم يقل الخمس أيضاً) قبل أن أفكر في تسديد مسدسي إليه. وهو يعرف، أنني لو كنت أنا من حاول اغتياله، لما كان على قيد الحياة الآن**».

إنها الكلمات نفسها التي كنت أقولها في بيروت وبشكل يكاد يكون حرفياً. أرسل بها كرسالة إليَّ بعد عامين. ولقد وصلتني الرسالة في العام ١٩٨٤، أي بعد عامين على إرسالها أيضاً. وكنت يومها في تونس. إنها آخر رسالة وصلتني منه.

كان كارلوس، في بعض جوانب شخصيته، يكره الاضطهاد في جميع أشكاله، ويحنو على الفقراء، يتعاطف معهم، بعيداً عن

الشفقة المهينة، حنو الثائر الذي يحلم بانتصار الفقراء.

في مرة غادرني لفترة طويلة. أخبرني قبل ليلة فقط، أننا لن نلتقي بعد. وكان يجب أن أسهر معه في الليلة التالية لأودعه. في تلك الليلة كنت مدعواً إلى حفل راقص، ونسيت موعدي معه.

حين عدت آخر الليل، وجدت بطاقة بالباب يقول فيها: مررت لتوديعك ولم أجدك. إنها الثانية بعد منتصف الليل، إلى اللقاء. (ولكننا التقينا بعد ذلك).

حزنت كثيراً لأنني نسيت الموعد. كنت لا أعرف في أي بلاد هو. وكنت كلما سمعت بعملية جديدة، أو بتصفية لأحد «الإرهابيين» أو... أظل أتابع الأخبار ويدي على قلبي، خشية أن يكون صديقي الرائع، هو المعني بذلك.

حين التقينا من جديد، أخبرته بهواجسي هذه، فضحك قائلاً:

حين أكون أنا في عملية، لا حاجة بك إلى تسقط أخباري. فقط حين تكون العملية كبيرة، وعليها لمسات كارلوس، وتكون ضجتها عظيمة، تأكد أنني أكون أنا من نفذها، أو خطط لها، أو أنني وراءها على أقل تقدير...

حين كان يبتعد عني، كانت الهواجس تلاحقني. أين هو الآن، يدرِّب، يتدرَّب، يحضِّر لعملية جديدة؟ هل اغتاله أحد أجهزة المخابرات الكثيرة التي تترصده وتلاحقه، ولم يعلن عن ذلك بعد؟ وكانت تلك التساؤلات تسوق إلى نفسي الكثير من الأحزان والإحساس بالفجيعة.

هذه الأيام، لم أعد أخشى الهواجس، فأنا أعرف أنه يقبع في ذلك

السجن الفرنسي، يحاول جاهداً أن يتماسك، وأن يظل «كارلوس» حتى النهاية.

حين قررنا أن نبدأ بكتابة ما سيرويه عليَّ وقد هيأت أوراقي بانتظار أن يبدأ. أخذت «أخرطش» على إحدى الأوراق أمامي. ولعل الكلمات التالية، تكون خير بداية، لحديث طويل، وأراه حزيناً من الآن، وصديقي القديم خلف القضبان.

«الوردة الحمراء تتنهد بصمت

تضرّج أفق غربتي بلونها الكامد الحزين

من أين يأتي الحزن للوردة الحمراء؟

في كل المساءات العاشقة سقيتها

ما بخلت عليها بدمع العين ونجيع القلب

كان أجمل ما فيها، أنها لا بد أن تذوي

ككل الأقاصيص الرائعة في شبابنا الذاهب

لماذا يكون الذبول دائماً

قدر الأشياء الجميلة؟

أيتها الوردة الحمراء

سأذكرك في أخريات أيامي

كلما شعرت بحاجة إلى البكاء

وأن الدموع تصر على أن تتحجر

خلف آفاق عينيَّ المتعبتين!»..

الفصل الرابع

كارلوس يتحدث عن نفسه

حياة غريبة، حدّ الجنون
حدّ الفجيعة

أنا في السياسة أرثوذكسي، أي خط واضح، أما في الحياة فمغامر، إنه شيء في العائلة... كثيرة هي الأشياء التي أقدمت عليها، فقط للمغامرة، في كل أنحاء العالم، حتى في بيروت...

ويتوقف عن الكلام.

أستحثه ليتابع:

ـ وماذا عن بيروت؟

ويخزر عينيه ضاحكاً:

ـ هذه دعها جانباً. الآن على الأقل. أنا لا أنوي أن أخفي عنك شيئاً. ولكن بعض الأشياء لا يجوز التصريح بها، قبل أن يحين الوقت لذلك.

كل ما قيل أو نشر عني حتى الآن، كما أخبرتك سابقاً،

أكاذيب، مجرد أكاذيب، ولهذا أريدك أن تقترب من الحقيقة قدر المستطاع.

إنني أثق بك، وأترك لك حرية التصرف ككاتب. لن أتدخل في عملك قط.

بالمناسبة، أثناء أحداث لبنان، كان هناك فرقة تحمل الأعلام الحمراء، على بضع سيارات مجهزة برشاشات الدوشكا، وتطلق على نفسها اسم «فرقة كارلوس».

أيضاً، في العدوان الإسرائيلي على جنوب لبنان في العام ١٩٧٨، سرت شائعات أن كارلوس كان في الجنوب يشارك في المعارك ضد العدوان. وكذلك أيام الاجتياح الإسرائيلي في العام ١٩٨٢. أستطيع أن أتصور ذلك. فإن صح أنه كان في لبنان، فإنه لم يحاول الاتصال بي وكذلك لم أحاول السؤال عنه.

فلنعد إلى حياته.

قبل أن يبدأ الكلام، أخذ هيئة الجد. وأطال التأمل والشرود.

ولدت في كاراكاس العاصمة ـ فنزويلا. في الثاني عشر من أكتوبر/ تشرين الثاني ١٩٤٩، والداي، كلاهما فنزويلي، من منطقة تاتشيرا في جبال الآندز. والطريف أن كل الثوار وكل الديكتاتوريين في تاريخ فنزويلا جاؤوا من هناك. (كان يلح بإصرار على أن والديه معاً من فنزويلا، وقد ساءه كثيراً، كما يبدو، أن قيل يوماً إنهما من كولومبيا).

«جبال لوس آندز، يبدو أنها جبال جبارة، تتناوب عليها الثلوج والأمطار التي تتحول إلى سيول بعد ذوبان الثلوج التي تغطي شعابها. وهي كما يصفها بعض الرحالين «لا تسمع في تلك

الأماكن الموحشة، إلاّ زعيق النسور وهدير المياه المتفجرة». وقد كانت فيها أعظم معارك سيمون بوليفر في بدايات القرن التاسع عشر، محرر أميركا اللاتينية من الاستعمار الإسباني. أعظم الثوار جاؤوا من تلك المنطقة، ومعظمهم انتهى نهايات حزينة. وقد قال عن تلك المعركة، شاعر منسي الاسم، كان مقاتلاً في جيش بوليفر يوماً:

«يا جبال الآندز، ستظلين علامة فارقة

في تاريخ المعارك التاريخية

ستظلين الشاهد الأعظم والأجمل

على عظمة الثائر النبيل، الذي استحق

وبجدارة عالية لقب المحرر.

ستظلين كأنصاب تذكارية شامخة

تروين للأجيال اللاحقة، حكاية حلم كبير

كاد أن يتحقق على يدي رمز حرية الشعوب

ونزوعها السخي إلى التوحد

بوليفر، أيها الثائر العظيم، الذي لم ينصفك التاريخ..».

من جبال الآندز، جاءت عائلته إذاً.

درجت في كراكاس مع أخوي. لينين وفلاديمير، وأنا اسمي الحقيقي إيليتش. وهكذا، فإن أسماءنا مأخوذة من اسم لينين الكامل.

ـ هذا يعني أن والدك كان شيوعياً؟

ـ هو ماركسي وليس حزبياً.

ـ من أين جاءك اسم كارلوس إذاً؟

ـ إنه واحد من أسمائي الكثيرة، ولكنه الأكثر أهمية من البقية، خصوصاً في تنظيمي.

اسم والدي خوسيه التاغراب راميروس نافاس وأمي إلبا ماريا سانتشيس. وهكذا يكون اسمي الكامل: إليتش راميروس سانتشيس. قسم من الوالد وقسم من الوالدة وكل الأسماء الإسبانية كذلك. وهو أمر منطقي وعادل كما ترى. بعضهم يأخذ اسمين من الأب واسمين من الأم، لمزيد من الفخامة.

أنا أكبر اخوتي، ثم لينين وبعده فلاديمير. بقيت في كاراكاس حتى تشرين الأول/ أكتوبر من العام ١٩٥٨. ولم نذهب نحن الثلاثة إلى المدرسة في بداية حياتنا. تعلمنا في البيت على أيدي أساتذة خصوصيين وهو أمر غير عادي (كانت عادة شائعة في أوساط البورجوازية الفنزويلية).

ـ هذا يعني أنك لم تعش مع الآخرين كثيراً في طفولتك؟

ـ صحيح!

في ذلك الوقت سافرنا، الأخوة الثلاثة مع الوالدة إلى المكسيك، مكسيكو سيتي العاصمة، لمدة خمسة أشهر. ثم إلى كينغستون في جامايكا لستة شهور أخرى.

والدي دكتور في الحقوق وعائلتي بورجوازية صغيرة.

ـ يعني أنك خنت طبقتك عندما أصبحت شيوعياً؟

يضحك،

ـ يبدو الأمر كذلك.

في ذلك الوقت، سافرت والدتي إلي بوغوتا عاصمة كولومبيا ومعها أخي فلاديمير الذي كان مريضاً. أما أنا ولينين، فقد حضر والدي لاصطحابنا معه إلى فنزويلا ثانية.

بقينا بضعة أشهر فيها، ثم سافرنا جميعاً، أنا وأخي ووالدي وجدتي لنقيم مع الوالدة في بوغوتا. عشنا هناك حوالى العام، بعد أن تركنا والدي وعاد إلى أعماله في فنزويلا. بعد ذلك بعام، ذهب الوالد مع فلاديمير إلى كوستاريكا.

ـ لماذا كل هذه الأسفار؟

ـ كان والدي ووالدتي قد افترقا عن بعض، وقد أرسلها والدي، لترى إن كان الجو ملائماً لنعيش معها هناك.

ـ ولماذا افترقا؟

وضحك، عادت إليه روح السخرية التي تشع في عينيه وروحه من وقت إلى آخر.

ـ بعد سنوات من العيش معاً، أليس الافتراق أفضل؟!

ـ أرجو ألاّ تقتنع المجتمعات بآرائك «القيمة» هذه.

ـ عدنا مع الوالد بعد ذلك إلى كاراكاس، حتى تكون الوالدة قد رتبت شؤون استقرارنا معها. كما كان والدي بحاجة إلى أن يتأكد من أمر دراستنا.

والدتي، قبل أن تستقر، ذهبت إلى بناما وكوستاريكا وغواتيمالا ثم إلى مكسيكو، التي أحبتها كثيراً. فسافرت وأخي (لم يذكر أيهما) بعد حين لمقابلتها في مكسيكو سيتي، ولكننا لم نلبث بعد

بضعة أشهر أن غادرنا إلى ميامي فلوريدا في الولايات المتحدة التي أراد أبي أن يشتري منزلاً فيها. وهكذا عشنا في الولايات المتحدة بعض الوقت، ونحن نبحث عن بيت في فلوريدا.

في ذلك الوقت، حصل شيء غير متوقع في فنزويلا. لقد سقطت العملة الفنزويلية، ولم يعد مسموحاً بإخراج المال منها، لهذا ذهبنا إلى جامايكا لبضعة أشهر، ثم عدنا أدراجنا إلى كاراكاس.

في ذلك الوقت ذهبنا إلى المدرسة الثانوية، في العام الأول كنا في معهد خاص. وفي العام التالي سألنا والدي أن يأخذنا إلى مدرسة «ليسيه فيرين تورو» ثم مدرسة ثانوية للهايسكول في فنزويلا. تلك المدرسة التي اشتهرت بأن كل الثوار كانوا يدرسون فيها. وكان ذلك ضد رغبة والدتي. ولكن، يبدو أن الوالد وافقنا على الذهاب إليها، لمجرد أن الوالدة لا تريد ذلك، أو ربما لأن الأمر يتوافق مع مزاجه الثوري، من يدري؟

ـ هل كان هناك مشاكل بين الوالدين؟

ـ بالمناسبة، والدي ليس رجلاً عادياً. فهو خلال أربع وثلاثين سنة كمحامٍ، على سبيل المثال، لم يخسر دعوى إطلاقاً.

نحن ولدنا جميعاً، أيام الديكتاتورية، ومع ذلك فقد أسمانا بتلك الأسماء الشيوعية، في نوع من التحدي.

كان في البيت ناعماً جداً، ولكنه في الخارج قاسٍ وقوي.

والدتي كانت سيدة طيبة وناعمة، ولكنها عادية. جميلة، أنيقة حتى الآن (مر على هذه الآن عشرين عاماً) ذات طبيعة مرحة وتحب الحياة الاجتماعية، إلاّ أنها شديدة الحساسية.

جدّ والدي كان واحداً من الفنزويليين الذين نزحوا إلى كولومبيا، ثم عادوا. كانوا ستين رجلاً، قاموا بعدة معارك، واجهوا فيها جيشاً كبيرا. ثم دخلوا كاراكاس واستلموا الحكم بثورة كبيرة العام ١٨٩٩.

بعد سنوات، حصل انقلاب عليهم، قام به نائب الرئيس، وظل ديكتاتوراً مدة ثلاثين عاماً.

في تلك الأثناء، قام جدي مع مجموعة انتحارية بعدة عمليات جريئة لاغتيال حاكم تاتشيرا، وهو ابن عم الرئيس، وإثر هجوم على الحاكم فشلوا فيه، ظل يقاتل وحده، حتى مكّن كل جماعته من الهرب إلى الجبال، ولكنه وقع أسيراً في النهاية.

حين أسروه، لم يقتلوه، لأنه كان واحداً من الثوار الذين قاموا بالحركة أصلاً. ولكنهم عذبوه طويلاً ليعترف بأسماء جماعته، فأبى ذلك. كان طويلاً، عظيم الجثة، وخرج من التعذيب محني الظهر، إلاّ أنه لم يعترف على أحد.

ظلّ سبع سنوات في السجن، مقيّداً بالسلاسل إلى كتل حديدية كبيرة في الأشغال الشاقة.

كان جميلاً، وقد أحبّته زوجة قائد السجن، لرجولته وجماله.

أُطلق سراحه بعد ذلك، ولكن العائلة دُمّرت وخسرت كل شيء.

كنت أحسه وهو يحدثني عن جده لأمه، أنه في شكل أو آخر يعتبره نموذجاً له. أكثر من ذلك لكأنه بغموض سرّي خاص، يؤمن وكأن روح ذلك الجد قد تقمصته. فإذا هو ذلك الفارس، الذي غامر بكل شيء، ضحى بكل شيء، في سبيل ألاّ يغدر

برفاقه. قوي، جميل، محبوب من النساء، ولديه طاقة هائلة على احتمال العذاب.

حين كان يحدثني عنه، كان صوته يمسي سحيقاً، يأتيني من أعماق الأسطورة. لم يكن كارلوس من يحدثني. كان ذلك صوت الجد ـ الأسطورة.

هذه الأيام، عليك أن تتذكر جدك طويلاً، أي صديقي وأنت في سجنك.

حكايته عن جده هذه، ألا تستحق الدراسة والتحليل؟!

الفصل الخامس

بداية الرحلة

عودة إلى المدرسة، ففيها بدأت تباشير الحياة السياسية.

في العام ١٩٦٤ انتظمت في الشبيبة الشيوعية، وكان التنظيم سرياً. وكنت شديد التحرك بين مختلف التنظيمات الطلابية. وفي العام ٦٥ ـ ٦٦ أصبحت مسؤولاً عن التنظيم في المدرسة. وكان يضم مائتي عضو.

المدرسة في قلب المدينة وقد شاركت في العديد من التظاهرات وكنت واحداً من قادتها. تلك التظاهرات التي أقضّت مضجع الرئيس الفنزويلي السابق راؤول ليوني.

ذهبت إلى الجامعة في العام ١٩٦٦. ولكن والدي كان خائفاً على مستقبلي، يحس بما يشبه الرعب، كلما راقبني عن كثب، أو عرف بتصرفاتي التي أصبحت معروفة في الأوساط الطلابية. وقد حصلت مشاكل عدة بيني وبين الوالد لأسباب سياسية.

(حين كنت أسمع بكارلوس أو أتتبع أخباره، خصوصاً بعد عملياته

الشهيرة، لم يكن يخطر لي ببال، أنني يمكن أن أجتمع به في يوم من الأيام، وأنه سيصبح «راويتي» في كتاب أكتبه عنه).

رتّب لي الوالد مشروعاً للدراسة في لندن، وهو عملياً كان يقوم بعملية إبعادي عن فنزويلا. وقد وصلتها مع الوالدة في آب/ أغسطس ١٩٦٦.

في تشرين الثاني من العام نفسه، أُسست أول منظمة عالمية للطلبة في إيرلندا وبريطانيا. كانت رئيسة المنظمة فتاة شيوعية بريطانية، وكان هناك نائبان للرئيس، أنا وشاب عراقي.

في العام ١٩٦٦ ذاك، كان هناك حركة شيوعية عالمية. الآن يختلف الوضع(!)

(هذا الكلام كان في العام ١٩٧٧. فماذا تستطيع القول الآن؟!).

بقيت في لندن حتى العام ١٩٦٨. وأنهيت السنتين التحضيريتين للجامعة فيها. ثم ذهبت إلى جامعة موسكو. وكانت والدتي في ذلك الوقت قد طُلِّقت من والدي. ذهبت بعد ذلك إلى جامعة لومومبا في موسكو، بمساعدة الحزب الشيوعي الفنزويلي.

خلال هذه الفترة، قمنا ببعض العمليات، ولكنني لا أستطيع التحدث عنها الآن. على أي حال، كانت عمليات متواضعة.

الفصل السادس

مع الجبهة الشعبية

ملاحظة لا بد منها:

كل ما ذكر في هذا الفصل، هو في الواقع على مسؤولية كارلوس الشخصية. رغم أنه لم يتحدث يوماً عن الجبهة إلاّ بكل احترام ووفاء.

على أي حال، قمت بعرض هذا النص على بعض أصدقائي من قياديي الجبهة، فلم يروا فيه ما يسيء إليها. وكنت يومها (١٩٧٨) أعمل مديراً لتحرير «الهدف» المجلة المركزية للجبهة.

علاقتي بالجبهة قديمة، منذ أيام الصديق الشهيد غسان كنفاني، ولو كان فيه ما يسيء إليها ولو من بعيد، لما نشرت شيئاً منه. على أي حال، للجبهة رأيها الواضح في موضوع العمليات الخارجية، والذي أدى إلى موقفها المعروف من تلك العمليات. ليس هنا مكان طرحه، وليس من حقي أن أطرحه.

أنا أتحدث عن كارلوس، الذي شاءت الظروف أن يكون على علاقة بها يوماً، وأن تكون انطلاقته منها.

هو الآن قيد الاعتقال. وهو في حاجة إلى كلمة نظيفة تقف إلى جانبه. ولهذا سأنشر هذا النص، الذي طال ثواؤه في أدراجي. فهل يعذرني إخوتي ورفاقي في الجبهة الشعبية، إن أنا فعلت، مع حرصي الكبير، والتاريخي، على عدم المساس بها. وأنا ما زلت أعتبرها أشرف من حمل همّ قضية فلسطين...

على أي حال، لقد أصبح معروفاً من قبل الجميع، أن علاقة كارلوس بالجبهة، حتى بفرع العمليات الخارجية قد انتهت منذ العام ١٩٧٥، إثر عملية الأوبك، وأنه منذ ذلك التاريخ قد أنشأ تنظيمه الخاص والمستقل.

ـ علاقتك بالجبهة متى بدأت، كيف، وهل ما زالت مستمرة؟ (هذا الكلام، للتذكير، كان في العام ١٩٧٧).

ـ مبدئياً، أنا لي تنظيمي الخاص الآن وخصوصاً في كل أميركا اللاتينية(!).

بدأت علاقتي بالجبهة في تموز/يوليو من العام ١٩٧٠. غادرت موسكو يومها إلى بيروت مع رسالة إلى غسان كنفاني، من مسؤول الجبهة في موسكو.

(من التنظيم الطلابي السرّي لها هناك).

دعيت للذهاب إلى الأردن، للالتحاق بمخيم صيفي للأجانب والعرب الوافدين من الخارج. «كمب» ظاهره كذلك، وفي حقيقته غير ذلك.

في اليوم التالي ذهبت إلى عمان مع رسالة من غسان إلى مكتب الإعلام هناك حيث قابلت بسام أبو شريف.

في الثالث والعشرين من تموز/يوليو، ذهبت مع مجموعة من العرب والأجانب إلى مخيم التدريب، ولكن لأسباب أمنية، أوقف «الكمب» بعد عشرة أيام من بدايته.

أكثر الناس الذين كانوا فيه تركوا الأردن. وقليل منهم بقي. أما أنا فقد ذهبت أساساً إلى عمان في مهمة واضحة ومحددة.

ـ ما هي تلك المهمة؟

ـ لنعد إلى العام ١٩٦٨ في أيلول/سبتمبر.

حين ذهبت إلى موسكو في ذلك الوقت والتحقت بجامعة لومومبا للدراسة، كان الحزب الشيوعي الفنزويلي يمر بأزمة وقد انقسم إلى قسمين:

واحد في الجبال على طريقة الغوريلز (الكلمة لا تحديد دقيقاً لها بالعربية، وهي تعني على وجه التقريب، الفدائي أو الإرهابي أو الاثنين معاً، وربما كان «مقاتلو الجبال» هو المعنى الأقرب). وكان يقود هذا القسم دوغلاس برافو.

أما القسم الآخر، فقد توقف نهائياً عن أسلوب الكفاح المسلح، واتجه صوب الديموقراطية البرلمانية.

من جهتي، كانت قناعتي مع دوغلاس برافو وقد حاولت أن أنظم، ضمن صفوف الحزب الشيوعي الفنزويلي في موسكو، جماعة سرّية لمصلحته. ولكننا كشفنا في نهاية ١٩٦٩، أنا ورفيق آخر كنا ندير التنظيم، كما كنا عضوين في الشبيبة الفنزويلية. ونتيجة لذلك طردنا من الجامعة، في بداية تموز/ يوليو ١٩٧٠ بأمر من الحزب الشيوعي الفنزويلي. لأن كل الطلاب الفنزويليين هناك كانوا قد أوفدوا إلى روسيا للتعلم من قبل الحزب.

(معروف أن الاتحاد السوفياتي، كان لا يتعامل إلاّ مع الأحزاب الشيوعية الرسمية. أما كل رأي يخرج عن إطار الكلاسيكية الحزبية، فيتعامل مع أصحابه كأعداء).

عندما طلب الحزب إخراجنا، فعل ذلك السوفيات، وهو أمر معقول، رغم أنني لم أقبل به كتصرف. بعض أولئك الذين طردوا، وبعض الذين لم يطردوا أيضاً، رغبوا في الذهاب إلى الأردن، ليقوموا بتدريبات فدائية.

في الحقيقة كنا ننوي الذهاب قبل الطرد، وجاء الطرد يبدل خطتنا.

كانت الخطة قبلاً، أن نذهب للتدريب لوقت محدود، ثم نعود إلى موسكو، ومن ثم إلى فنزويلا للقتال إلى جانب برافو. ولكن بعد فصلنا لم يعد ذلك ممكناً.

عملياً كنت المحرك لتلك المجموعة، رغم أنني أصغر الرفاق سناً.

تمّ الاتفاق على أن أذهب إلى الأردن، لأنني أملك خبرة أكثر من الآخرين، كما أنني عشت في أوروبا وأتكلم عدة لغات. وقد كنت أول من أجرى اتصالاً مع الفلسطينيين.

كان الغرض من رحلتي إذاً، أن أعرف ما هي الثورة الفلسطينية، وأن أستكشف الجبهة الشعبية خصوصاً، وكذلك بقية التنظيمات، وأكتب لجماعتي في موسكو بكل ذلك، ليأتو أولاً، هذه هي مهمتي، وهذه هي أسباب رحلتي.

عندما توقف «الكمب» عدنا ثانية إلى عمان، فقابلت أحد المسؤولين فيها، وأخبرته أنني أريد الانضمام إلى «كمب» فدائي حقيقي.

وحين ووفق على طلبي، انضممت رسمياً إلى الجبهة. كان ذلك في بداية آب/ أغسطس، وذهبت معهم إلى جبل جلعاد.

(عندما كان صاحبي يريد أن يتذكر شيئاً، كان يطيل التحديق إلى أعلى، وهي عادة لازمته منذ الطفولة كما يبدو).

يومها قابلت جورج حبش، وكان يزمع السفر إلى كوريا، وقد جاء في زيارة إلى «الكمب». تحدثنا قليلاً حول وطني وعائلتي وزوجتي الكوبية وطفلتي (اسم زوجتي سونيا مارين أوريولا[٩]) والطفلة ولدت عندما تركت موسكو وأصبحت في الأردن، وقد ولدت في هافانا. وأنا لا أعرف ما اسمها. أحب أن أسميها سونيا أيضاً، ولكنني غير متأكد من الاسم. كتبت لهم مراراً، وأنا لا أتلقى أية أخبار منهم الآن.

(سمعت أنه تزوج من جديد من صديقته الألمانية وأن له طفلة منها. أرجو ألا «تزعج زوجته هذه الذكريات القديمة». وأنا آسف أن أسجلها من جديد. ترى بماذا يشعر المرء عندما لا يعرف ما هو اسم طفلته التي لم يرها أبداً؟!). أذكر أنني في سجني سنة ١٩٧٠، وكنت قد التحقت بالعمل الفدائي، أنني نسيت شكل ابنتي الصغيرة، إذ كنت أحمل صورة لأمها وأختيها فقط، وكان عمرها سنة ونصف السنة. كنت على استعداد يومها، أن أعترف بكل ما أعرفه في التحقيق، لو أن المحقق عرض عليَّ أن يأتيني بصورة ابنتي، لأتذكر ملامحها فقط).

ـ أتحب زوجتك حتى الآن؟

ـ أجل. ألا ترى أنني منفعل حقيقة؟

يشرد قليلاً:

مع أنني لا أحب أن أكون رومنطيقياً.

بعد لحظات من الشرود الغائم الحزين:

في بداية أيلول/ سبتمبر توقف الكمب الجديد، لأنهم احتاجوا إلى المقاتلين في «المفرق» لانتظار الطائرات الأربع التي سيطرت عليها في تلك الفترة، مجموعات من الجبهة الشعبية ـ العمليات الخارجية. (عملية مطار الثورة).

لقد أخذوا خيرة المقاتلين، وتركوني مع حديثي السن أو غير الجيدين، وكنت مستاء كثيراً لذلك. وقد احتججت لدى الضابط المسؤول عن «الكمب». عندها نقلوني إلى الخط الأول في المعركة، وقد بدأ أيلول/ سبتمبر الأسود وأنا هناك، حيث هاجمنا الجيش الأردني.

كنت مع مجموعة خاصة مقاتلة، وكنا نحرس مستودعاً كبيراً للأسلحة تحت الأرض. وكان مركزنا بقرب قرية صغيرة اسمها «أم جوسي».

في ذلك الهجوم، حطموا كل المجموعات في المنطقة، والذي لم يقتل تراجع. حتى جماعة «الكمب» اضطروا إلى التراجع.

في مجموعتنا، كان القائد ضابطاً في مثل سني أو أصغر بقليل. قال القائد: يجب أن نحمي هذا المكان ونقاتل حتى الموت، لأن الذخائر كثيرة فيه ومهمة جداً للمعركة. وفعلاً كنا المجموعة الوحيدة التي بقيت في تلك المنطقة.

بعد ذلك، جاءت القوات الفلسطينية المشتركة، وهاجمنا الجيش الأردني ورددناه على أعقابه. بقيت هناك حوالى الشهر، نقلنا بعدها إلى «كمب» تدريب جديد، بالقرب من «برما» (بين مخيم غزة وبرما تحديداً في جبال جرش).

في تلك الأثناء خرجت أنا وقائد المجموعة في ذلك المعسكر، وكنا ستين رجلاً. واستمرينا في المعارك حتى تموز/ يوليو ١٩٧١.

في نهاية معسكر التدريب هذا، وكان ذلك في تشرين الثاني/ نوفمبر، كنت الأول في الامتحانات، وفي كل شيء.

(كنت أحسه وهو يتحدث عن تلك المرحلة بشيء من الاعتزاز، وكأنها المرحلة الأكثر قرباً إلى قلبه في ماضيه).

بعده ذهبت إلى معسكر آخر، وكان هناك اجتماع هام للقيادة فيه.

هناك رأيت جورج حبش مرة ثانية. وهو الذي قدمني في حينها إلى وديع حداد.

(كان هذا الكلام قبل غياب وديع حداد. ولم يخطر ببالي أو ببال كارلوس يومها، أن أبا هاني قد يغيب بهذه السرعة. ولهذا لم ندخل في كثير تفصيلات، عن ذلك اللقاء وطبيعة علاقته به).

كان هناك مجموعات فدائية خاصة في معسكر الـ (٢٠١) تحت قيادة فتح، وكنت عضواً في واحدة من تلك المجموعات. والواقع أننا كنا مجموعتين في الجبهة، كل مجموعة من سبعة أشخاص، وهما من ضمن المجموعات الموثوق بمقاتليها وقدراتهم القتالية.

في تلك الأثناء، هطلت الثلوج على الجبال. ونحن لا نملك ثياباً شتوية، ولا حتى خيماً، وأصبحت حالتنا سيئة جداً، وانتشرت في أجسادنا لسعات الحشرات.

بعد حوالى ثلاثة أشهر، تركنا القوات المشتركة، وذهبنا إلى «أم

الرمان»، وهي ضيعة استراتيجية للمقاومة الشعبية. مجموعة من القرى بقرب المفرق الواصل بين دمشق وعمان. كان هناك طريق بين دمشق وعمان يمر بجرش، وبين أم الرمان وجرش طريقان.

الطريق الجديدة يسيطر عليها الجيش الأردني وهي عالية، والطريق الأخرى يتحكم فيها الفدائيون، وهي تمر بنهر الزرقا، أما أم الرمان فكانت تتحكم في الطريقين معاً. ذهبنا إلى هناك، ولكننا لم نقاتل، فقط بقينا للطوارىء، ولبضعة أسابيع.

عملياً بقينا حتى نهاية العام، وما زلت أذكر أن نوبة حراستي ليلة رأس السنة، كانت اثنتي عشرة ساعة متواصلة. وكنا نشاهد قذائف الجيش الأردني تعبر من فوقنا.

تركنا ذلك المكان إذ دعينا إلى المجمع، وكان قرب مخيم غزة وبرما. وكان جورج حبش هناك، ومن مقرنا حاولنا مهاجمة الجيش الأردني، وقد شاركت في تلك المعارك، وكانت عملياتنا كلها بالأسلوب الفدائي. الجبهة لجأت إلى تكتيك جديد، فشكلت فرق غوريلز في الجبال. رأيت أن هناك خطأ جسيماً في الأمر. لأن الحرب قد انتهت، وإمكانية عمل غوريلز أصبحت مستحيلة. فهذا النوع من التشكيلات في حاجة إلى أهلين ليساعدوه، وكانت الظروف قد تغيّرت. أخبرت الضابط السياسي بذلك، وكان يذهب إلى اجتماع القيادة كل أسبوع، وقد نقل فكرتي وتبناها.

كنت أعرف أن الفكرة من أساسها خطأ، ومع ذلك فقد قررت الذهاب معهم، خصوصاً أنهم أصروا على تشكيل تلك الفرق، وتركوا لنا حرية الاختيار في الانضمام إليها.

المكان الأول للغوريلز مكان في كهف بين قريتين بدويتين (هبريت الفوقا وهبريت التحتا). وهكذا تسنى لي أن أعايش الأعراب، وأعرف حياتهم عن كثب. وما زلت أذكر أن لبنات البدو سحراً خاصاً غريباً.

كنت في البداية، في مجموعة من سبعة مقاتلين، وقد وصلنا مقرنا يوم أحد.

في الأسبوع التالي حضرت مجموعتان أخريان، فأصبحنا واحداً وعشرين رجلاً.

عشنا حياة الغوريلز الحقيقية. وقد أقمنا علاقات طيبة مع البدو المحيطين بنا. وابتدأنا عملياتنا ضد الجيش الأردني.

مجموعة تقاتل، ومجموعة تستريح، هكذا بالتناوب. في نهاية كانون الثاني/ يناير، تركت الأردن وذهبت إلى لندن، وقد كان واضحاً أن القتال قد وصل إلى نهايته. والجبهة قد طلبت إلى كوادرها مغادرة الأردن، والاتجاه إلى مكان قرب درعا في سورية.

كنت قد كتبت إلى أخي في لندن، وأرسل هو برقية إليَّ إلى «الهدف» أرسلوها إليَّ بدورهم إلى المجمّع.

تحدثت إلى جورج حبش قبل السفر، فوافق على الفكرة. وقد حملت معي بطاقة منظمة التحرير، لأن كل مقاتلي الجبهة الذين وقعوا في الأسر، كانوا يقتلون فوراً.

وصلت إلى لندن في شباط/فبراير، وما زلت حتى الآن على قناعة، أن فكرة الغوريلز تلك كانت خطأ. ولكنني من الناحية العسكرية، اكتسبت خبرة جيدة فيها. المعركة الأخيرة في تموز/

يوليو، كانت في مكان الغوريلز ذاك، وكانت الأخيرة فعلاً. ومن لم يقتل فيها، قضى ثلاث سنوات في سجن الجفر.

عدت إلى لندن إذاً، لأتابع معركتي من هناك، فقد كنت عضواً في الجبهة، ولأن مجموعتنا في موسكو كانت قد توزعت وانتهى أمرها.

بعد تجربتي في الأردن، لم تعد المعركة بالنسبة إليَّ كأجنبي يؤمن بمبادىء الثورة العالمية فقط، لقد أصبحت شيئاً ما في داخلي. أصبحت مصيري. السبب الذي منع رفاقي في موسكو من المجيء إلى الأردن، هو أن الحرب اشتعلت فيه. ولم يكن في مقدورهم أن يظلوا أكثر في موسكو، وهكذا عاد أغلبهم إلى فنزويلا.

عدت إلى بيروت، والتقيت بسام أبو شريف الذي أخبرني بما حدث في الأردن بعد ذهابي.

كان أغلب المقاتلين في لبنان. جورج حبش ووديع حداد أيضاً. في هذه المرحلة بدأ اتصالي بالعمليات الخارجية. الحقيقة أن البداية كانت في صيف ١٩٧١. وكان كل شيء في الأردن قد انتهى. كثيرون قتلوا وكثيرون آخرون في السجون.

كان هناك مشكلتان في الواقع:

الأولى، هي المقاومة ككل، فقد كانت عقدتها هي ضرب النظام الأردني. وهكذا كانت بداية أيلول/ سبتمبر الأسود في فتح.

أما بالنسبة إلى الجبهة، فكانت المشكلة هي عدم توافر المال، إذ كانت فقيرة جداً.

في بداية أيلول/ سبتمبر ١٩٧١، ذهبت إلى لندن ثانية، لأقوم بعمليات مالية. وهي عادة عمليات سرّية تهتم باحتجاز الأغنياء من الأعداء، لقبض فدية بالمقابل.

هناك عملية لا أريد أن أذكرها الآن، سأتجاوزها إلى سواها.

(أذكّر من جديد أن الكلام كان في سنة ١٩٧٧).

الفصل السابع

وابتدأ كارلوس..
وابتدأت العمليات

كانت العملية التالية، التخطيط لقتل زيد الرفاعي، وكان سفيراً للأردن في لندن.

في نهاية تشرين الأول/ أكتوبر، كانت الخطة جاهزة وتأخرت العملية قليلاً، لعدم توافر الإمكانات المطلوبة. أما المفاجأة، فهي أن جماعة أيلول/ سبتمبر الأسود، سبقونا إلى مهاجمته ولكنهم لم يتمكنوا منه.

وكانت المرة الثانية، التي تقوم بها منظمة أيلول/ سبتمبر الأسود بعملية، كنا نخطط لها، أما الأولى فكانت عملية وصفي التل، عملياً، كانت العملية سهلة، لأن مخابرات عربية ساعدتهم. وكان هناك أكثر من جهة متواطئة فيها.

لست أدري، بأية طريقة، أعطى بعضهم اسمي الحقيقي للبوليس الإنكليزي، وكذلك عنواني الشخصي. ففي ٢٣ كانون الأول/ ديسمبر، قام فرع خاص في سكوتلانديارد بعملية ضدي. كان هناك ثلاث مجموعات بسبع سيارات.

عادة، البوليس الإنكليزي لا يحمل سلاحاً إلاّ في المناسبات الخاصة، يومها كان الضباط وعناصر القوة المداهمة مسلحين.

جاؤوا في الليل، الساعة السابعة والنصف مساء، ولكنهم ذهبوا إلى بيت آخر، حيث كان أخي هناك، وهو منزل أصدقاء كنت قد زرتهم مرتين ذلك اليوم فعلاً، وقد شهروا أسلحتهم على الموجودين، وإذ فتشوا ولم يجدوني، أحضروا أخي معهم، وجاؤوا إلى البيت في منطقة شيسيلي، وقد دخلوا من نفق تحت البيت، وفاجأوني في غرفة الجلوس، وأنا أشاهد التلفزيون مع والدتي.

كان الوقت قد أصبح حوالى العاشرة، وكان معهم أمر مسبّق بالتفتيش.

فتشوا كل البيت ولم يجدوا شيئاً، كان البوليس يراقبني ليلاً ونهاراً قبل مداهمتي، وكانوا ورائي في كل لحظة. في ذلك اليوم لم يعتقلوني، لأنهم لم يجدوا عندي شيئاً. كنت حتى ذلك الوقت، لم أستعمل اسم كارلوس في عمليات معروفة.

عملياً لم يجدوا شيئاً، لأنه كان لديَّ بيت آخر سري، واسم آخر سري أيضاً، ولم يكتشفوهما.

عملت اتصالاً عبر بعض الأشخاص في أوروبا، فأتتني إشارة من بيروت بالتوقف والتريث.

في العام التالي، عملت اتصالات أخرى، ونصحت بالتريث أيضاً، وقد استمر الأمر كذلك حتى العام ١٩٧٣. (عملياً، كنت أقوم بأعمال ثورية أخرى، والتريث كان فقط بالنسبة إلى عملي مع الجبهة).

في تموز/ يوليو ١٩٧٣، عدت مرة أخرى إلى بيروت لأعيد الاتصال.

وفي حرب تشرين/ أكتوبر رجعت إلى أوروبا، لأتفرغ للعمل بشكل كلي. ليس كالسابق، تلميذ في الجامعة وأعطي بعض وقتي للعمل. وكانت بداية كارلوس الحقيقية.

الهدف الأول كان في لندن، وكانت العملية ضد الصهاينة في بريطانيا.

فقد وقع الاختيار على يوسف إدوار وهو مهم جداً، لأنه الأخ الأصغر للورد سيف، الذي كان يكفل حاييم وايزمن في مانشستر، وقد كان مسؤولاً عن المدرسة الصهيونية هناك، وهي ليست مجرد مدرسة عادية فقط، إنما كانت مهمتها التخطيط والتوجيه وتكريس أيديولوجيا صهيونية. وعملياً، تلك المدرسة، هي التي احتلت فلسطين وبدأت بـإقامة إسرائيل.

حدثتك بكل هذا لتعرف من هو اللورد سيف، وكان يوسف إدوار سيف الوارث السياسي لأخيه. سلمني أحد الرفاق مسدس بريتا عتيقاً مع خمس طلقات فقط.

عندما تحاول أن تغتال أحداً، عادة يجب أن يكون معك مسدسان، واحد بكاتم للصوت وآخر قوي للدفاع عن النفس إذا حصل شيء غير متوقع.

كذلك يجب أن يكون معك قنبلتان يدويتان وسائق.

هذه هي الطريقة الاعتيادية، ولكنني لم أفعل شيئاً من كل هذا، فقط، حصلت على ذلك المسدس العتيق مع الطلقات الخمس، ولم أستطع حتى تجربته، لأنك تحتاج إلى ثلاث طلقات للتجربة

على الأقل. نظفت المسدس، وذهبت بسيارة قديمة، أوقفتها أمام المنزل، ودخلت إلى غرفته مباشرة، ولكنه كان في «التواليت».

كان ذلك في ٣٠ كانون الأول/ ديسمبر الساعة ٦,٤٥. وكنت قد دفعت الخادم أمامي بالقوة إلى الغرفة، وإذ لم أجده، أمرته أن يستدعي سيده. وما إن فتح باب الحمام، حتى أطلقت عليه ثلاث طلقات، انطلقت واحدة فقط، وجاءت في شفته العليا تحت الأنف. عادة ثلاث طلقات حول الأنف تقتل حتماً. الخادم كان قد أغمي عليه تلقائياً. فانسحبت وأنا لا أحمل معي سوى سكين أوتوماتيكية في جيبي، والمسدس العتيق بطلقتين. أخذت السيارة بثوانٍ وانطلقت مبتعداً.

الغريب أن الرجل لم يمت، فقد استطاعوا إنقاذه في المستشفى رغم إصابته القاتلة. وحين قررت أن أعيد الكرة معه، وحصلت على كل الأسلحة المطلوبة بعد أسبوعين، كان قد غادر لندن إلى برمودا ولم يعد منها أبداً.

بعدها كان الهجوم على بنك «غابو أليم بنك» وهو بنك الهستدروت الصهيوني.

(الطريف هذه الأيام، وبعد أن اعتقل كارلوس، أن أكثر من مسؤول إسرائيلي قال، إنه لم يهدد مصالح إسرائيل في نوع من إظهار البراءة وعدم الاهتمام بمصيره).

كان البنك في مركز المدينة، وقد هاجمته بقنابل بلاستيكية، في كل منها ٢٠٠ غرام متفجرات.

الطريف، أنني ألقيت القنبلة من الباب الرئيسي على الصندوق (الكاشيير) ولكنها حين وقعت أمام الموظف، انزلقت على

الخشب الناعم قبل أن تنفجر، فقفز الرجل بعيداً ولم يقتل. وقد دمرت جانباً من البنك، وجرح بعض الموظفين فقط. وقد كان للعملية ضجة إعلامية كبيرة.

هرعت إثر إلقاء القنبلة خارجاً في اتجاه سيارتي ولم يمسك بي أحد. كنت مزوداً بجهاز التقاط خاص، أستمع بواسطته إلى رسائل البوليس اللاسلكية، وهكذا كنت أعرف باتجاهات دورياته ومراكزها فأتحاشاها خلال هربي. فلم أقع في الفخاخ التي نصبوها لي.

الفصل الثامن

حالات خاصة

كان أهم من المعلومات التي أعطاها كارلوس لي، معايشتي شبه اليومية له.

كان يصر في لقاءاتنا، على أن «الإرهابي» الحقيقي هو الذي يعيش طويلاً. ويضرب لي المثل بنفسه، في كثير من الاعتداد والثقة بالنفس. مرة آخر الليل قال:

أنظر يا صديقي. إنني أحب الحياة، أحب أن أعيشها بعمق وحدّة. لأنني لا أعرف متى أقتل. أعرف فقط أنني في يوم ما سأقتل وأنتهي. ولهذا تجدني مسرفاً في الإقبال على الحياة.

كانت لحظات حزينة، طال صمتنا بعدها. وفجأة تجده يتماسك ويتجاوز الحالة.

كنت دائماً أحس بما يشبه الفجيعة، كلما خطر لي خاطر من هذا القبيل، لا أعرف كيف سيمكنني احتمال الصورة. كان كارلوس، رغم حديثه هذا، غير مسرف إطلاقاً، لا في الشراب، ولا في السهر، ولا في علاقاته النسائية. حين كنا نسهر في بيتي وحيدين،

ويمتد بنا السهر حتى أواخر الليل، نشرب، نتحدث، نلعب الورق أحياناً. أو نطيل الصمت. لم نكن، وخلال ساعات طويلة، نشرب إلاّ بضعة كؤوس. وكان دائماً يكتفي بعلاقة نسائية واحدة. حتى إذا أحس أن الفتاة قد بدأت تتعلق به، أو تعرف شيئاً عنه، أكثر من الحد المطلوب، بادر حالاً إلى إنهاء العلاقة، ونسيان الأمر نهائياً، في نوع من «الكونترول» البالغ حدّ القسوة أحياناً.

كان كارلوس مهتماً بموضوع هذا الكتاب، وكثيراً ما فاجأني بأسئلة، يحاول جاهداً أن تبدو عابرة، لا تفضح اهتمامه مثل:

ـ أين وصلت بكتابك، وكم صفحة تظن أنه سيكون؟

ـ حوالى المائة صفحة أو أقل.

ـ كتاب صغير تعني؟

ـ لا، وسط، كل كتبي صغيرة الحجم، لا أحب الكتب الكبيرة حجماً.

ـ معك حق. الكتب الضخمة، كالسلم والحرب، ثقيلة، أنا أيضاً أفضل الحجم الطبيعي المقبول.

كان دائماً، يسترعي انتباهه بعض الأمثال العربية، حين أرددها على مسامعه أو أشرحها له. فيقول إنهم في فنزويلا يقولون الشيء نفسه. وكثيراً ما كان يشير إلى علاقة القرابة التي تربط بين الإسبان والعرب. أو يؤكد لي، أن الإسبان الذين ذهبوا واستقروا في أميركا الجنوبية، هم في غالبيتهم من الإسبان الذين اختلطوا بالعرب، أو أنهم العرب الذين أصبحوا إسبانيين، لأن أولئك المهاجرين هم الفرسان المحترفون، الذين لم يكن لهم من مهنة سوى القتال، وخلال مئات السنين من الصراع في إسبانيا أيام العرب فيها. وحين

انتهت الحروب الإسبانية ـ العربية، وغادر العرب إسبانيا، أصبحوا بلا عمل، فهم لا يحسنون غير الحرب، وهكذا أزمعوا على الرحيل، وكانت أميركا الجنوبية وجهتهم. هذا يعني، منطقياً، أن سكان تلك البلاد، وفنزويلا منها، قد اختلطت دماؤهم بالدماء العربية. وإلى حد كبير.

ولا أنسى، حين كان يزورني أحد في النهارات وهو عندي، وأحاول تعريفه عليه (بأسماء شتى ومعلومات تتغير حسب الزائرين) أنه كان يبادر، في مرات كثيرة، إلى التعريف عن نفسه بالقول: أنا عربي مغترب. وبعربيته غير الصحيحة كلياً كانت كلمة عربي تصبح «أربي».

مرة إثر عملية تفجير بئر أقميق البترولي في الجزيرة العربية والتي تجاوزت الخسائر فيها المليار دولار، وصار نفي لها بدعوى أنها حصلت بسبب صدأ في الأنابيب، كنت أظن أنه على علاقة بها. ولكنه أصرّ على نفي ذلك، أو أنها «عمليته».

وقد قدم لي شروحاً طويلة عن أفضل الوسائل لعمليات التفجير البترولي. وقد عقب على الموضوع برمته قائلاً:

ـ أنظر يا صديقي، البترول جزء مهم من خطنا الاستراتيجي، ونحن مستعدون لإشعال نفط الخليج برمته، من عُمان وحتى الكويت مروراً بالسعودية وحتى الأهواز في إيران. (كانت إيران الشاه يومذاك. كما أنه في العام ١٩٧٦ - ١٩٧٧ حين كان يقول نحن، فهو يعني تنظيمه الخاص، فقد كان في ذلك الوقت قد انفصل نهائياً عن عمليات الجبهة - فرع العمليات الخارجية وأسس تنظيمه الخاص).

وربما نفط بلادي فنزويلا أيضاً. إننا بهذه الطريقة فقط، نستطيع ضرب أميركا وإصابة مقتل منها. نحن لا نملك قنابل نووية وهيدروجينية، ونعرف أن روسيا لن تقاتل أميركا من أجل كل ثورات العالم ومظلوميه (كان قد أصبح على يقين في تلك الأيام أن الاتحاد السوفياتي أصبح يتصرف كدولة كبرى وليس كثورة. ولهذا كان يكثر من استعمال كلمة روسيا. ترى، ما هو رأيه الآن؟ ترى، ما هي أهمية رأي السجين، خلف قضبان سيطول مكوثه وراءها؟ لأن كل العالم متألّب عليه كما يبدو). **ولهذا لا سلاح أمامنا سوى النفط، ولتأكل أميركا بعده الصواريخ...**

وغادرني ضاحكاً.

لقسمات كارلوس، طبيعة كاتمة للسر عجيبة، وهي ناحية تهمه كثيراً كما يبدو. وأعتقد أنه قام برياضات نفسية طويلة ومعقدة، للتأكد من سلامة هذه الناحية فيه. من قدرته على إلباس وجهه ذلك القناع الصخري المنحوت بدقة، فلا يعود في إمكانك أن تستشف أي شيء من خلاله.

بهذه المناسبة، طلب مني مرة أن أعطيه مفتاح بيتي، ليستقبل صديقته فيه. فهو يعرف أن بيته الخاص مراقب، مثل هذا الامتياز لا أمنحه لأحد عادة، ولكنه أصبح أكثر من صديق، علاقتنا أمست شيئاً متفرداً وشديد الخصوصية. قلت: يجب أن أكون في البيت، خشية حصول طارىء ما. قال: إن الفتاة تعرفك، وهي تصرّ على عدم رؤيتك لها.

ـ حسناً!

وجاء مرة أو اثنتين معها، وكان ينتظر عودتي بعد أن تغادر، فأجده

وحيداً وحزيناً. الجنس كثيراً ما يورث الحزن لدى شديدي الحساسية، ومن كانت حياتهم ملأى بالمعاناة والإحساس بالغربة، يجلس معي قليلاً، ثم يشكرني ويمضي.

في إحدى الليالي، وكنا نسهر عند أصدقاء، ظلت إحدى الفتيات، وأنا أعرفها بشكل عابر تقريباً، تفرط في عنايتها بي. آخر السهرة جلست بقربه، بعد أن تحاشته طويلاً. نظرت إلى الاثنين، وتأكد لي أنها هي. في اليوم التالي، وكنا نشرب وحيدين في حديقة منزلي الصغيرة، قلت له فجأة: بصحة فلانة.

اضطرب قليلاً وقال: كيف عرفت؟

قلت: البارحة.

فأخذ يلح عليَّ بشكل لم أتعوده سابقاً منه. كان يريد أن يتأكد من أنني عرفت ذلك من وجهها هي وليس من وجهه.

قلت مطمئناً: لقد عرفت من تعابيرها هي. فهل يرضيك هذا. (كنت أساير رغبته الملحة، فقد عرفت من الاثنين معاً في الحقيقة).

وأفرخ روعه، لم يعد يبالي بباقي التفصيلات. في اليوم التالي أخبرها بما حصل ودعانا إلى العشاء معاً، وكان عشاء فاخراً، أصرّ على ألاّ يقدم معه غير الشمبانيا. وأخذت تأتي بعدها وأنا في البيت.

تلك الفتاة كانت جميلة، على شيء من السمنة المقبولة، بيضاء اللون سوداء العينين، فاحمة الشعر غزيرته، شكل عربي ـ إسباني قديم.

كان يعاملها بفرط رقة وقسوة في آن معاً. أما هي فكانت تتقبل منه كل شيء. وبنوع من الاستسلام والرضى العجيبين.

أذكر أنه حين كان يريد تدليلها يناديها ممازحاً بـ«لا بتيت فاش» بقرتي المدللة. وكانت راضية.

بعد فترة، سافر لمدة طويلة، وفهمت أنه قد قطع علاقته معها فجأة. فقد اتصلت بي، وجاءت إلى منزلي تشكوه لي باكية. كانت شهية وأحسست لوهلة، أنها تفكر في شيء أكثر من كوني صديقاً مشتركاً لها وله. فتجاهلت الأمر، بقيت أعاملها كأخت كما يقولون في بلادنا. إنه أمر لم أفعله مع صديق في حياتي. لتذهب وتبني علاقة جديدة مع من تشاء، أما معي، فأنا لا أستطيع أن أنسى أنها كانت صديقة صديق، مطلق صديق.

بين الجد والمزاح، حاول أكثر من مرة أن يقنعني بالإنضمام إليه، أن أكون مسؤولاً عن تنظيمه. وكنت أجيبه أنني رجل عجوز (كنت في الرابعة والأربعين وليس عجوزاً حقيقياً كاليوم) تجاوزه الزمن وما عدت أصلح لذلك. وكان يصر على أنه يريد فكري وليس عضلاتي.

حاول أكثر من مرة أن يصطحبني معه إلى ظاهر المدينة كي يدربني على سرعة إطلاق النار. فأرفض. كنت أقول له: سلاحانا مختلفان يا صديقي. وأنا لن أستبدل هذا القلم بأي سلاح آخر، مشيراً بقلمي إشارة التهديد. كان يشرح لي كيف أن عليَّ أن أمسك المسدس بكلتا يدي، حين أريد أن أصيب الهدف بدقة. فأضحك طويلاً من محاولاته، وكنت أعيد عليه القول، إنني سبق أن اخترت سلاحي، وأن عليه أن يبحث عن «زبون» آخر سواي.

كلما كان معي وغادرني، كان يترك فراغاً وراءه. وكنت أحس، أن صداقتي لهذا الإنسان ستزداد عمقاً، وتترسخ مع الأيام.

هذه الأيام، ورغم انقطاعنا الطويل، إثر تلك الجفوة التي حلّت بيننا بعد ما نشرته من مشروع كتابي في تلك المجلة الباريسية. وبعد أن شاهدت صورته الحزينة المكابرة، أحس أن تلك الصداقة لم تمت، أنه لا يزال ذلك الصديق الذي أحببته يوماً كأخ.

فلنعد إلى رحلتنا مع كارلوس، ونترك له أن يقوم بدور الرواية الذكي من جديد. لنعد إلى العمليات.

الفصل التاسع

وإلى عمليات أخر

عدت ثانية إلى لبنان من أجل عمليات أخرى. صادف في ذلك الوقت أن حصلت عملية سنغافورة، التي قام بها الجيش الأحمر الياباني والجبهة معاً. واضطررنا إلى القيام بعملية السفارة اليابانية في الكويت، لإنقاذ جماعة عملية سنغافورة المحاصرين في البحر.

(لم يتطرق تفصيلاً إلى هذه العملية يبدو أن دوره فيها كان محدوداً).

بعد فترة انتظار، عدت إلى أوروبا من جديد، للإشراف على عملية جديدة مع مجموعة، ضد ثلاث صحف صهيونية ومحطة إذاعة وتلفزيون.

مجلة «لارش» الشهرية ومجلة «مينغيت» الأسبوعية، وجريدة «لورور» اليومية.

رفاقنا الفرنسيون ساعدونا في هذه العملية، وقد طالبونا أن نضرب أيضاً الإذاعة والتلفزيون ففعلنا.

حوالى الساعة الثانية بعد منتصف الليل بدأنا العملية، وقد انتظرنا حتى هذه الساعة حتى يخرج الناس من هذه الأماكن، لأننا لم نكن نريد أن نقتل الموظفين والعمال. ونستطيع تصور صعوبة هذه العملية الضخمة، ضد ثلاث مؤسسات صهيونية وواحدة حكومية، دفعة واحدة، وفي قلب باريس، خصوصاً أن المؤسسة الحكومية محروسة جيداً.

إلاّ أن العملية نجحت.

واحدة من المتفجرات لم تعمل، كانت تلك التي وضعت في الإذاعة والتلفزيون. وكان سبب العطل ساعة التوقيت. عموماً كانت عمليات رائعة ولها دوي، للأسف أن هناك أشياء خاصة جداً، في كل عملية، لا تستطيع أن تحكي أو تكتب عنها، ولفترات طويلة من الزمن، إنه لشيء مؤسف حقاً.

(وتقول إسرائيل أنه لم يهدد مصالحها يوماً!).

في تلك الفترة حضر إلى باريس أحد الرفاق اليابانيين، وألقي القبض عليه في مطار أورلي، في تموز/ يوليو ١٩٧٤. وكان علينا أن نقوم بعمليتين معاً، واحدة لإطلاقه، وأخرى لدعم هذه، فيما لو حصلت أية مضاعفات.

كانت الفكرة أن نهاجم إحدى السفارات الفرنسية في أوروبا، ونعتقل السفير ونفاوض على المبادلة.

ماذا حدث؟

الجيش الأحمر الياباني، أرسل ثلاثة فدائيين (كوماندوس) ليعملوا معنا في تلك العملية، التي كانت تقع على مسؤولية قيادتهم. درسنا عدة سفارات ومنازل سفراء، وراقبنا السفراء أنفسهم، ثم

قررنا أن نعتقل السفير الفرنسي في هولندا ــ لاهاي. رتّبنا كل شيء واليابانيون حضروا. أخذنا الأسلحة وكل الأشياء اللازمة، وقابلنا اليابانيين بعد الظهر.

في تلك الأثناء حصلت مشكلة غير متوقعة.

ففي كوريا الجنوبية، حاول كوريون من أصل ياباني، قتل الرئيس «بارك» في المسرح، ولكن المسدس الذي حاولوا قتله به لم ينطلق في المرة الأولى، وفي الثانية كان الرئيس قد انبطح أرضاً، فأصابوا زوجته وقتلت.

ما هي علاقتنا في لاهاي بما حصل في كوريا الجنوبية؟ المشكلة بكل بساطة، أن جواز سفر الذي حاول قتل الرئيس بارك في سيؤول، وجواز سفر أحد اليابانيين الذين معنا، كانا من مصدر واحد، وكان البوليس يبحث عن ذلك الجواز. وهكذا أرسلنا الرفاق اليابانيين خارج البلاد واحتفظنا فقط بالكوماندوس الثلاثة.

التقينا يوم الخميس، وقررنا أن نقوم بالعملية في اليوم التالي.

وكانت الخطة أن نذهب أنا ورئيس الكوماندوس إلى لاهاي، لنرى متى يأتي السفير بسيارته وسائقه إلى السفارة. بعد ذلك، ذهب رئيس الكوماندوس إلى أمستردام ليعود ظهراً بين الواحدة والثانية، حيث ننتظر عودة السفير من بيته، لإيقافه بباب السفارة والدخول معه عنوة، على أن ينفذ اليابانيون العملية، وكان معهم مسدسات ورمانات يدوية.

كان قد تبقى على مباشرة العملية أربع ساعات، وكان عليَّ أن أراقب كل شيء عن كثب وأتأكد من سلامة التنفيذ، خصوصاً

وأن السفارة الأميركية بقرب السفارة الفرنسية وحراسها مسلحون.

الرفاق اليابانيون لم يأتوا في الوقت المحدد، وبقيت حول السفارة حتى الرابعة والنصف بعد الظهر، ثم ابتعدت حوالى المائة متر، لأنني لاحظت أن حرس السفارة الأميركية قد بدأوا يرتابون بأمري.

بعد الساعة الخامسة سمعت ضجة سيارات البوليس، والناس يركضون في اتجاه السفارة الفرنسية، وأتيت لأرى ما الأمر، وسمعت طلقات من داخل مبنى السفارة، كما رأيت امرأة من البوليس مصابة يخرجونها من السفارة.

انتظرت بضع دقائق مع الناس، حتى ضرب البوليس الحصار حول السفارة.

بعدئذٍ تلفنت من صندوق تلفون عمومي إلى مكتب السفير، ولكنني اكتشفت أن البوليس قد قطع الخطوط الهاتف.

الذي حصل أنهم جاؤوا متأخرين لمشكل صغير حصل معهم، وعندما لم يجدوني، رأوا سيارة السفير مع السائق فقط، فهددوه وصعدوا معه، ثم اتجهوا إلى غرفة السفير، وكان معه أربعة رجال أعمال من مديري شركة البترول الفرنسي.

الغريب أن سيارة بوليس عادية صادف مرورها ساعة دخولهم، فأسرع من فيها، وكانوا رجلين وامرأة، إلى مكتب السفير، وحصل إطلاق نار.

رئيس الكوماندوس أصاب المرأة والبوليس الآخر، إلاّ أن الثالث استطاع إصابته. حين لم أستطع التحدث إليهم بالتليفون، حسب

الخطة، عدت أدراجي إلى باريس، حيث كان عليَّ أن أقوم بعملية أخرى.

وصلت باريس مساء، وكانت العملية بسيطة جداً في هولندا، كما عرفت تفاصيلها يوم السبت. فالفرنسيون أخذوا الياباني السجين إلى هولندا، حيث كان يجب أن تتم المبادلة، ولكنهم احتفظوا به في الطائرة. مساء السبت بدأت أفكر في تنفيذ العملية الأخرى في باريس لأساعدهم.

كان هناك نقطتان:

أولاً: أن أنبّه اليابانيين، ألاّ يتركوا السفارة في الليل، لأن ذلك خطير.

أما النقطة الثانية، فكانت صعوبة الاتصال بمن أعرفهم، للحصول على الأسلحة والمستلزمات الضرورية، لأن الوقت كان عطلة أسبوع.

في يوم الأحد صباحاً، كان الرئيس الهولندي يخاطب الصحافة بالفرنسية ويقول: إن المسؤولية في كل ما قد يحصل تقع على عاتق الحكومة الفرنسية. وقال: ربما أنه قد يقطع العلاقات الدبلوماسية مع فرنسا.

أيضاً، إلى جانب احتفاظ الفرنسيين بالسجين في الطائرة، وهي تعتبر ملكية فرنسية حتى في هولندا، فإنهم لم يرسلوا البوينغ ٧٠٧ لتحمل رفاقنا إلى الشرق الأوسط، لم نفهم لماذا لم يحاول اليابانيون قتل سجنائهم واحداً بعد الآخر. عملياً، كان هناك معادلة، وهي أن الفرنسيين هددوا بقتل السجين، إن حاولوا قتل أحد.

في الساعة الثانية من بعد ظهر الأحد، كان واضحاً أن العملية قد فشلت. كنا نعرف أنهم لن يسلموا، ولكن، لسبب أو لآخر، فإنهم لم يقتلوا أحداً أيضاً. وكان واضحاً أن ميونيخ ثانية ستحدث. وكان علينا أن نقوم حالاً بعملية مساعدة، رغم صعوبة الحصول على مستلزماتها في يوم الأحد.

الشيء الوحيد الذي كنا نملكه، مسدسي الخاص وقنبلتان يدويتان. وهكذا، قررت في الساعة الثانية، أن أقوم بعملية على الطريقة الجزائرية، وذلك يعني أن ألقي بالقنبلتين في مقهى عادي.

بعد الساعة الخامسة مساء، ألقيت قنبلة على مقهى «دروغ ستور» في سان جرمان، فقتل إثنان وجرح ثلاثون. ثم وجّهنا كلمة باسم الجيش الأحمر الياباني، كما أخبرنا وكالات الأنباء والصحافة بالعملية، وتركنا رسائل في عدة أماكن، تهدد الحكومة: إن لم توافق على طلبات رفاقنا، سنقوم بعمليات متلاحقة شبيهة بالعملية. وخشيت الحكومة الفرنسية من نقمة الرأي العام على تصلبها، فأرسلت البوينغ ٧٠٧ في صبيحة اليوم التالي، وسلمت الجماعة سجينهم، وانطلقوا بالطائرة إلى الشرق الأوسط، ونجحت العملية.

الفصل العاشر

عودة إلى الماضي

كان المشوار رائعاً، كارلوس وصديقته «ندى» (لا بتيت فاش) وأنا وصديقة لها اسمها غادة.

أشجار الميموزا تكتنف الطريق من كلا الجانبين، برائحتها الخفيفة المحببة، وأزهارها الصفراء، الشيء الذي أعادنا إلى لبنان، والنزهات السرية في غابات جباله الرائعة. المدينة الخضراء، والبحر يبدو ساكناً من بعيد، كحلم عتيق مهمل لم يتحقق. وكنا صامتين، فجأة خطر لغادة وندى أن تبتعدا قليلاً، ذهبتا تلهوان بين الأشجار التي على جانبي الطريق.

وابتدأ يحكي، يوغل في الماضي، يمازج بين الماضي والحاضر والمستقبل. دون نظام أو اهتمام بترتيب الأشياء.

تذكّر بعض الأشياء الطريفة عن أمه. حكى عن بقية أفراد العائلة، وعن زوجته البعيدة في كوبا وابنته التي لا يعرف حتى اسمها. ولكنه، كعادته، سريعاً ما يتغلب على حالة الضعف الإنساني تلك، ويعود إلى حديث كارلوس، بعد أن أقصى ايليتش راميروز سانتيش جانباً.

مساء التقينا وحدنا من جديد وبدأ:

خبراتي غريبة ومتعددة. أول خبراتي القتالية، كانت في فنزويلا ـ كاركاس ـ القتال بين التلاميذ والشقاوات ضد البوليس في المظاهرات السياسية. قنابل مولوتوف، مسدسات، إشعال النار في السيارات والضرب بالحجارة.. كنت منتظماً في تلك الفترة مع فتيان الحزب الشيوعي. وقد كان مركزنا في قلب المدينة، فحين نريد إيقاف حركة المدينة، كان ذلك سهلاً علينا.

كنا نقوم بتلك الأشياء، أحياناً، تغطية لأعمال الغوريلز، إذ نقوم بعمليات في أماكن أخرى، لإشغال البوليس وقوات الأمن. كما كنا نقوم بالتدريب، مع وجودنا في المدرسة، كان ذلك في العام ١٩٦٣ وحتى العام ١٩٦٦.

كنا نذهب إلى الفقراء في الجبال المحيطة بكاراكاس، لنعمل بينهم، بين العمال والبروليتاريا الدونية. منذ تلك الأيام، ترسخ حب الفقراء والتعاطف معهم في أعماقنا. نشاركهم في العمل اليدوي الشاق في حقولهم المتواضعة، وبعض أعمالهم الأخرى كمحاولة لإشعارهم أن ثمة في هذا العالم، من يتعاطف ويشدّ على أيديهم في معاناتهم. وكان الغوريلز يقطعون الطريق على البوليس إذا حاولوا اللحاق بنا.

الهجوم الأول والحقيقي في حياتي، كان مع مجموعة من الرفاق ضد مكاتب الـ«بان أميركان» في كاراكاس، حيث ألقينا عليها قنابل بترولية.

بعدها بعض الرفاق ذهبوا إلى الغوريلز في الجبال، والبعض الآخر التحق بدورات في المدينة وكنت بينهم، وقد أصبحت مسؤولاً عن تنظيم المدرسة.

هناك بعض الدورات عملتها في الخارج، ولكنني لا أستطيع التحدث عنها.

في إنكلترا عملت دورة جيدو جيدة، كما انضممت إلى نادي المسدسات والبنادق للتدرب عليها، وكان عمري سبعة عشر عاماً.

ـ وبعد عملية لاهاي، أين حاولت الاستفادة من خبراتك هذه؟

ـ حسناً، لنعد إلى حيث توقفنا. بعد عملية اليابانيين أصبحت حالتنا العامة صعبة، وأصبح العمل يحتاج إلى مزيد من الشجاعة واللياقة والخبرة الجيدة، وهذا يعني الحاجة إلى تنظيم قوي أيضاً، والمزيد من المقاتلين المدربين.

كان علينا أن نهاجم إحدى طائرات العال الإسرائيلية. وبما أن مقرنا الرئيسي كان في فرنسا، فقد تقرر أن تكون عمليتنا في مطار أورلي.

خططنا لتلك العملية، وكان يجب أن ننفذ في كانون الأول ١٩٧٤. كان كل شيء جاهزاً، ولكن إضراباً حصل في شركة العال، ولم تعد طائراتها تأتي. وهكذا كان لزاماً علينا أن ننتظر لبضعة أسابيع أخرى. إنما المفاجآت تفرض نفسها أحياناً حتى على أدق الخطط.

في كانون الثاني/ يناير ١٩٧٥ قمنا بها. كل شيء كان حسناً، كل المجموعات تحركت، وكنت المسؤول عن العملية، وكانت عملية دقيقة بالثواني: الرجل الذي كان عليه أن يطلق «الآر. بي. جي ـ ٧» أطلق قذيفتين ولم يصب الطائرة. إنها إحدى حالات الضعف الإنساني المشروعة كما يبدو. كان رجلاً شجاعاً ومجرباً، ولكن، لا بد أن اضطراباً معيناً أصابه وهو يطلق.

بعدئذٍ، ميشال مكربل قال: يجب أن نحاول ثانية. وهكذا أعدنا الكرة. قبل انقضاء أسبوع عليها، قمت بعملية فحص المطار، من أجل استكشاف مراقبة البوليس الجديدة. واكتشفت أنه في استطاعتنا أن نقوم بهجوم آخر.

كان لدينا أكثر من مخطط للمطار، فقد سبق أن درسته، لمدة ستة شهور متواليات، وقد عملت عدة خطط احتياطية.

واحدة من تلك الخطط، كانت أن نهاجم من شرفة المودعين.

المشكلة أنك لا تجد فرصة للهرب بعد ضرب طائرة، إلاّ باحتجاز رهائن لتهرب بواسطتهم. وفي مثل هذه العملية، يمكن أن يقتل أناس كثيرون، ونحن لا نريد ذلك، كما أنها خطيرة على رجالنا في الوقت نفسه.

العملية الأولى كانت يوم الاثنين. الاستطلاع الأول للعملية الثانية، كان يوم الخميس، وقد قمت بها مع رجل البازوكا فقط.

يوم الجمعة أجرينا الاستطلاع العملي، أي أننا قمنا بتنفيذها دون أسلحة، إنه الاستطلاع الأخير للكشف النهائي على مسرح العملية، ويوم الأحد قمنا بها.

لم أكد أريد أن تتم في ذلك اليوم، لأنه يوم عطلة، وكثير من الناس يذهبون إلى المطار للنزهة فقط، للفرجة والتنزه، كما أن حركة المطار يمكن أن تتبدل قليلاً يوم العطلة.

كنت أفضل الانتظار حتى يوم الخميس التالي، ليكون لدينا متسع من الوقت أكثر. وللتأكد من التفصيلات العملية ومراقبة البوليس، ولكن ميشال مكربل ألحَّ عليَّ أن نسرع في ضربتنا،

والرجال الآخرون الثلاثة كانوا مع التعجيل. صباح الأحد قمنا بالكشف الأخير والنهائي، وبعد الظهر نفذنا.

أدخلت الرجال إلى المطار وأدخلتهم البناء مع الأسلحة، وذهبت معهم حتى «التراس»، ثم صعدوا وحدهم، وكان عليهم أن يركّبوا البازوكا في «التواليت».

الطريف، أنه في ذلك الوقت، كان هناك أناس كثيرون في «التواليت»، وحين أخلي واحد منها دخلوه ليركبوها، كانت الطائرة قد بدأت بالابتعاد.

كان على الرامي أن يطلق من مسافة ٢٥ متراً، لكنه حين وصل إلى «التراس» مع البازوكا، كانت الطائرة قد أصبحت على مسافة ٣٥٠ متراً أو أكثر بقليل. علماً أن «الآر. بي. جي» التي كانت معنا هذه المرة هي من نوع «آر. بي. جي - ٢» أي أنها أصغر من سابقتها وأقصر مدى، وكنت قد طلبت من الرامي أن يطلق قذيفة واحدة فقط، لأنه في المرة السابقة، حين أطلق ثانية وأخطأ الطائرة، أصاب طائرة يوغوسلافية متوقفة في المطار، ولم نرد أن يتكرر ذلك. المهم أننا أخطأنا الطائرة الثانية.

في هذا الوقت نشبت معركة بين رجالنا والبوليس، فاحتجزوا مجموعة من الرهائن، وعادوا بهم إلى «التواليت» واضطرت الحكومة أن تعطيهم طائرة بوينغ ٧٠٧ ليسافروا بها إلى الشرق الأوسط، في الوقت الذي كنا فيه بباريس ننتظر، حتى إذا تصلّبت الحكومة، أحرجناها بعمليات أخرى.

بعد تلك العملية، أخذنا نخطط لعمليات غيرها. وكان هناك ثلاث عمليات علينا أن نقوم بها. إلاّ أن ما حدث تلك الأيام

جعلنا نؤجل أو نغير كل مخططاتنا. على أية حال، تلك العمليات لا مجال للحديث عنها، ما دامت لم تنفذ.

في تلك الأثناء اعتقل ميشال مكربل في مطار بيروت، وكان قد ذهب لإجراء اتصال مع الجبهة، كان معه مستندات، صور وأسماء ومخططات.

كانت القضية خطيرة جداً، خصوصاً أنه لا يحق له أن يحمل كل تلك الأشياء معه.

وبما أنه كان معروفاً من الإسرائيليين، فقد كانت الأوامر إليه، ألاّ يذهب بشكل مباشر من بيروت إلى باريس أو العكس. ولكنه فعل ذلك أيضاً.

عملياً وجد بوليس الجوازات في حقيبته أكثر من جواز فأوقفوه وفتشوا بقية متاعه، ووجدوا الأشياء الأخرى. ظل معتقلاً ثلاثة أيام، ثم رُحِّل على أول طائرة إلى باريس، وقد وصلت إشارة من مطار بيروت إلى البوليس الفرنسي بموعد وصوله.

تلقفه البوليس الفرنسي، ويبدو أنه أخضع لصنوف شتى من التعذيب النفسي والجسدي. وأحسسنا أن البوليس وراءنا، وأنه يحاول أن يلتقط صوراً للرفاق أثناء تنقلاتهم، وبعد اتصالات مع المركز، تقرر أن يتغير كل شيء.

أسرعنا بتسفير الرفاق، وأرسلنا كل من له علاقة بنا إلى جهات أخرى، وأخذ كل يوم يصبح أكثر صعوبة من الذي سبقه.

استطاع مكربل، بحكم المركز الذي لم يفقده بعد، أن يحصل على بعض الوثائق المتعلقة بالجبهة، وذهب في رفقة الرفاق، ووضعها في صندوقه الخاص بالبنك، كنوع من الحماية له.

عند هذا الحد، طالبته بإحضار تلك المستندات، لأنه لا يحق له وضعها في البنك، واضطررت إلى مرافقته حتى البنك وأحضرتها بنفسي.

لم أعد أراه بعد ذلك، إلاّ في الليلة التي جاء فيها مع البوليس ليدلّهم عليَّ...

الفصل الحادي عشر

عملية مذهلة

يوم الجمعة في ٢٧ حزيران/يونيو ١٩٧٥ الساعة ٨,٤٥ ليلاً، طرق بابي البوليس، وكنت في شقة صغيرة لتلميذتين من فنزويلا. وكان مكربل يتصل بي أحياناً، في السابق، من طريق هاتين البنتين.

في تلك الليلة، واحدة منهما ذهبت في رحلة، والأخرى كانت ستعود إلى فنزويلا. فعملنا حفلة صغيرة، وكانت قد غادرت قبل مجيء البوليس بثلاث ساعات. في ذلك الوقت، كنت أنا وشابان فنزويليان وفتاة صديقة للبنتين.

أحدهم فتح الباب وقال: بوليس. ودخل المفوض «هران» ومساعده الضابط «دوز».

(من عادة كارلوس ألاّ يبعد المسدس عن متناول يده، لا في الليل ولا في النهار. ودائماً هناك طلقة في بيت النار).

دخلا وسألا عن «ماريا لارا» الفتاة التي ذهبت في رحلة وأجبناهما أنها ذهبت قبل أسبوع.

دعوناهما إلى كأس فجلسا قليلاً، ثم طلب المفوض أن يطلّع على جوازاتنا، فأريناه إياها. وبدأ بتوجيه الأسئلة.

سألني إن كنت أعرف ميشال اللبناني، فأجبت أني لا أعرف هذا الاسم. قال: إن ميشال يقول إنه يعرفني، وإنه أعطاهما هذا العنوان. ثم أخرج المفوض صورة أُخذت لي، مع ميشال قريباً من مكان الشقة التي كنا فيها.

فسألتهما، ما هي مشكلة هذا اللبناني، هل هي قضية حشيشة أم إرهاب؟ وطلبت منهما بدوري أن يرياني أوراقهما. وتبين أنهما من مخابرات مكافحة الجاسوسية فسألتهما، أين هذا «الميشال» الذي يتحدثان عنه، عندها قال الضابط «دوز» إنه في إحدى السيارات خارجاً، قلت: أحضره إلى هنا لنرى إن كنت أعرفه فعلاً. فقد يكون ثمة خطأ في الأمر.

تشاوروا قليلاً، ثم أمر المفوض «هران» الضابط «دوز» ليخرج ويحضره.

وعندما تأكد لي أنني وقعت في الفخ، هيأت نفسي لخوض المعركة.

بعد خمس عشرة دقيقة حضر «دوز» ومعه ميشال مكربل والتحري «دوناتي». ووقف الجميع، وسألني المفوض «هران» إن كنت أعرفه، فأجبته بالنفي، وأكدت أنني لم أره في حياتي.

كان ميشال قد تغيّر كثيراً فعلاً. كانت التعاسة تبدو واضحة على قسماته، وكانت آثار الإرهاق والعذاب النفسي وحتى الجسدي بادية عليه. وحين توجه إلى ميشال بالسؤال نفسه، مدّ

يده اليمنى بتخاذل وقال بصوت منكسر: هذا هو الرجل الذي أعطيته الحقيبة.

بعد أيام من عودة ميشال من لبنان، جاءني في تلك الشقة، وكنت أتناول الغداء مع الفتاتين، ومعه حقيبة. كان عصبياً ومضطرباً، وطلب إليَّ أن أسلمه تلك الحقيبة في عنوان آخر الساعة السادسة مساء. وكنا في الثانية والنصف بعد الظهر.

وإذ رفضت ذلك سائلاً لماذا يحملني حقيبة تخصّه، ألحّ عليَّ بحجة أنه لا يستطيع حملها إلى حيث هو ذاهب الآن. ورجاني أن أقدم له هذه الخدمة. وقد أراني أوراقاً مهمة فيها. وإذ ثرت لأنه يحمل مثل تلك الأوراق، اضطرب كثيراً وأخبرني قصة اعتقاله في بيروت. وفي حالة من الإعياء قال لي إن البوليس في بيروت قد شاهدها، وحين سألته عن أشياء أخرى، قال بأنه سيحدثني بها مساء، ساعة أسلمه الحقيبة. في السادسة، حين خرجت بالحقيبة، كان هناك من ينتظرني، لتصويري من بعيد بواسطة عدسة مقربة كما يبدو، وكانت الحقيبة هي العلامة المميزة لي. وهذا معناه أن ميشال قد أصبح تحت مراقبة البوليس، وربما في تصرفه. حين قال ميشال ذلك وأشار بيده إليَّ، أحسست أنها اللحظة الفاصلة فأشهرت مسدسي (روسي توكاريف ٧,٦٢مم وليس ٧,٦٥ العادي. وهو مسدس قوي جداً ودقيق، يحمله الضباط الروس عادة).

أطلقت أول الأمر على «دوناتي» لأنه حاول سحب مسدسه، فأصبته في صدغه الأيسر، وكان مشهوداً له بسرعة سحب المسدس، ولكنني كنت أسرع منه. ثم تحركت وأطلقت على «دوز» بين عينيه. وتحركت بسرعة لأطلق على «هران» وفجأة

صارت الفتاة بيننا، ويبدو أنها قفزت مرتعبة، فأزحتها وملت على جانبي وأطلقت عليه، فأصبته تحت أذنه، وكانت كلها إصابات قاتلة.

عند ذلك لم يبق غير ميشال، فجاء في اتجاهي واضعاً يديه على وجهه، فقد أيقن تلك اللحظة، أن من ينهار في مثل هذا الميدان من العمل، ينفذ فيه حكم الموت، هذه هي قواعد العمل، التي كنا نسير عليها. حين أصبح أمامي، أطلقت عليه بين عينيه، وحين انطرح أرضاً، وقبل أن أغادر الغرفة عدت وأطلقت عليه رصاصة أخرى في صدغه الأيسر، ووثبت من البناء رقم ـ ٩ ـ الذي كنا فيه، إلى البناء رقم ـ ١١ ـ وبيدي حقيبتي السوداء.

كان هناك ثلاث طلقات في المسدس، ومعي مذخر احتياطي أيضاً. وضعت المسدس في ظهري، وسرت بشكل طبيعي. وقد صادف أنه في ذلك اليوم كان دور الحي الذي كنا فيه في إطفاء كهرباء الشارع، فساعدني ذلك على التمويه. كان هناك بوليس إلى يميني وناس، ولكني لم ألتفت إليهم، وسرت كإنسان عادي لا علاقة له بما يحصل فوق.

وقد ساعدني أيضاً، أن العملية برمتها، قد تمت في ثوانٍ معدودات، فلم يتصور البوليس الذي في الخارج، أن أكون إنساناً له علاقة بالاشتباك الذي حصل فوق، خصوصاً أنني خارج من بناء آخر. بعد أن ابتعدت عن المكان بحوالى مائة متر، سمعت إطلاق نار، ولم أعرف من الذي كان يطلق، وأغلب الظن أن البوليس قد اشتبه في سواي.

رغم أنني كنت خلال المعركة، هادئاً جداً، وبارداً جداً، فإنني وحتى الآن، أحس بنوع من العصبية كلما تحدثت عنها. أن

تقاتل، تقتل أو تُقتل في الجبال والأماكن الأخرى شيء يختلف تماماً عن المدينة، والجميع حولك أعداء، وهم كثيرون وأنت واحد.

أنا لست قاتلاً محترفاً. لم تكن عملية إطفاء الحياة في عينين إنسانيتين تحدقان إليك سهلة، خصوصاً إذا أنهيت أربع حيوات في ست ثوانٍ كما فعلت.

تصور كم كانت أعصابي هادئة. فقد قفزت من الطابق الثالث إلى ممر البناية الثانية، ثم تابعت سيري منتصباً، كأن الأمر لا يعنيني إطلاقاً.

أذكر أنه وهو يحدثني بهذه العملية، أن الساعة كانت قد تجاوزت الثالثة بعد منتصف الليل، كنا وحيدين في البيت، وقد بدا عليه، بعد أن انتهى من سردها، نوع من العصبية، وأكمد وجهه، احتقن، وأصبح يتنفس بصوت مسموع. قمت إلى الثلاجة وأحضرت قنينتيْ سفن آب باردتين، وأعطيته واحدة، شربها بهدوء وسكن. ثم اعتذر عن الاضطراب الذي أصابه. كانت ذكرى هذه العملية، لا تزال قاسية على نفسه، خصوصاً أنه كان، ولفترة طويلة، على علاقة حميمة بميشال مكربل. وقد عملا معاً وناضلا معاً وعاشا وتعرضا للخطر معاً. وفجأة وجد نفسه مضطراً إلى قتله، وعلى هذه الصورة القاسية والمأسوية.

الفصل الثاني عشر

وفي فيينا ملأ الدنيا وشغل الناس

الأحد في ٢١ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٧٥، كنا مجموعة من ستة رفاق. أنا وفتاة ألمانية (غابرييل كروشر تيدمن) وشاب (هانز يوخايم كلاين) وفلسطيني ولبنانيان، استولينا على الطبقة الأولى من الطبقتين الخاصتين بالأوبيك.

أريد أن أتوقف هنا عند زاوية أراها مهمة. حين عدّد لي أسماء رفاقه، ذكر الأجانب ولكنه لم يذكر اسم أحد من العرب. وأنا لم أكن أعرفهم.

يوم تقرر أن أنشر حلقات من الكتاب في المجلة الباريسية، وكان الأمر معروفاً للمقربين مني، جاءتني صديقة للعائلة، وقالت لي: هناك صديق لنا كان شريك كارلوس في عملية الأوبيك، وهو يريد أن يطّلع على المادة قبل نشرها. قلت: مسؤوليتي عن هذا الأمر أمام كارلوس فقط. وأنا لن أعطيها لأحد سواه. وأحرجت الصديقة. قالت: ألا تعطيها لي شخصياً، وأعدك أن تكون صباحاً عندك. قلت: لك شخصياً لا بأس.

في الصباح كانت عند وعدها، وأحضرت المادة. قالت: يهنئك على كل شيء، ويقول: إن من يعرفك لا يخاف عليك. أحسست أن الرجل الذي تتحدث عنه قريب إليَّ. سألتها: هل هو كمال خير بيك، فأجابت بالنفي.

بعد عامين أو أكثر بقليل، حين اغتيل كمال قرب منطقة ساقية الجنزير في بيروت. وذهبنا لنعزي به. جلست قربها وكانت دامعة العينين. أعدت عليها السؤال: ألم يكن كمال، فهزت رأسها بالإيجاب.

كمال خير بيك قصة وحده، كنت أعرفه منذ بداية الستينات كشاعر، وكان واحداً من شلة الأدب والصحافة التي كانت تلتقي في مقهى الأنكل سام في رأس بيروت.

علمت فيما بعد، أنه التحق بمنظمة «أيلول الأسود» مع صديقه فؤاد الشمالي. ثم التحق بعد وفاة فؤاد بـ«الجبهة الشعبية ـ العمليات الخارجية». ولم نعد نلتقي إلاّ بالمصادفات.

مرة كنت أشتري أشياء من محل بقالة في بلد ما. وقف إلى جانبي يتأملني، استهجنت الأمر وسألته: نعم يا أخ. وضحك، قال: أما عرفتني؟ حين تكلم عرفته وتعانقنا. كان ملتحياً، يضع نظارات غامقة اللون، ونحيلاً.

التقيته مرة ثانية في تلك البلاد في رفقة زوجته الثانية التي لم أكن أعرفها سابقاً.

أيام الاجتياح الإسرائيلي وبعده بقليل، التقينا لمرات قليلة وفي سهرات خاصة. قبل اغتياله بأسبوع، كنت ماراً بسيارتي قرب فندق البريستول وكان ماشياً. توقفت، صعد إلى السيارة وقال:

«اعمل لنا برمة» وتجولنا قليلاً بالسيارة. تذكرنا أيام الأنكل سام، وسألني عن بعض أصدقائنا القدامى وأخبارهم، ولم نتطرق إلى موضوع الأوبيك. وفجأة قال: توقف. أنزلني هنا. ألححت أن أحمله إلى حيث يتوجه ولكنه أصرّ وودعني. وكان اللقاء الأخير. بعد أسبوع سمعت بتفاصيل اغتياله، وقد قاتل وصديقه بشير عبيد الذي كان في منزله حتى انتهت ذخيرتهما، فخرج ليفاوض مهاجميه، فرشوه، وقد قتل معه بشير. (كمال خير بيك كان شاعراً جيداً، ولكنه تخلى عن الشعر ليخوض معركة كان يعتبرها مصيرية ضد العدو الإسرائيلي. كمال شخصية تستحق حديثاً مستفيضاً، ليس هذا مكانه، ولكنه كان شريك كارلوس في عملية الأوبيك. هذا ما عرفته بعد اغتياله).

نعود إلى حديث كارلوس:

بدأنا ذلك الساعة ١١,٥٠ ظهراً. وفي الصدام الأول ، قتلنا ثلاثة أشخاص وجرحنا آخر، قبل أن نسيطر على الوضع.

بعد دقائق هاجمنا البوليس. أصيب واحد من البوليس، وهم جرحوا واحداً منا. ولكننا دحرناهم خارج المبنى. وبدأنا المفاوضات مع الحكومة النمساوية. في البداية طلبنا أن تذاع رسالة منا في الراديو والتلفزيون، وأن نحصل على طائرة في صباح اليوم التالي، لتأخذنا مع الوزراء المحتجزين، ومعنا رفيقنا الجريح الذي أرسلناه إلى المستشفى.

وهكذا انتظرنا مع أحد عشر وزيراً. فقط وزيرا قطر والإمارات العربية، كانا قد غادرا قبل أن نصل، ولكن بعض أعضاء وفدي الدولتين كانوا معنا.

ذهبنا صباحاً مع ثلاثة عشر محتجزاً والوزراء الأحد عشر، ونحن الخمسة ورفيقنا الجريح إلى الجزائر. لنترك هذا الأخير في مستشفى جزائري. ونترك كذلك الوزراء الذين لا نريد الاحتفاظ بهم مع الوزير الجزائري. وقد احتفظنا بوزراء ليبيا والسعودية والكويت والعراق وإيران.

طلبنا من الجزائر أن تعطينا طائرة أقوى من طائرتنا، وهي من النوع غير الصالح للمسافات الطويلة. ولكنهم قالوا إنهم لا يملكون الطائرة التي نطلب في ذلك الوقت. فطلبنا طائرة سعودية، ولكنها أخذت وقتاً لتصل. وهكذا ذهبنا إلى ليبيا، لنطلق الليبيين، وقد طلب الوزير الجزائري إذناً بالبقاء معنا وجاء في رفقتنا إلى طرابلس، وكنا قد بقينا في الجزائر حوالى ست ساعات ارتحنا فيها قليلاً.

طلبنا من الجزائريين أن يترجموا خطابنا الذي قرأناه في فيينا وأن يرسلوه إلى بقية الحكومات ففعلوا. وكان معنا وزراء حكومات إيران، السعودية، العراق، وبعض أعضاء وفدي قطر والإمارات.

حين ذهبنا إلى طرابلس، كنا نأمل أن نجد طائرة ليبية أو سعودية.

الليبيون لم يكونوا يعرفون ماذا يريدون؟ وكانوا يبدلون رأيهم بسرعة. جلود هو الذي فاوضنا، وكان كل ساعة برأي، فقررت أن أتوجه إلى بغداد، ولكن ذلك بدا مستحيلاً بطائرتنا.

اتجهنا إلى تونس، على أن نأخذ طائرة من هناك، سعودية أو إيرانية. وليس بالطرق الديبلوماسية. طبعاً الجزائر وليبيا، كنا نعتبرهما دولتين صديقتين، وفيهما يجب أن نطلب. تونس ليست كذلك وفيها نستطيع أن نأمر.

حين حاولنا الهبوط في المطار، وأوشكنا أن نلامس الأرض،

أطفئت جميع الأنوار، ليس في المطار وحسب، وإنما في المنطقة المحيطة به أيضاً. ولو لم يكن الطيار ماهراً، لقتلنا نحن ومن معنا من الرهائن. لقد كان تصرفاً أحمق وهمجياً في آن من السلطات التونسية.

وهكذا قررنا العودة إلى الجزائر لأن الطيار أصبح متعباً، وقد أرسلناه فوراً ليرتاح بمجرد وصولنا.

فكرت طويلاً في وضعنا. كان علينا أن نرتاح جميعاً. لأننا، وليومين قبل العملية، لم ننم إطلاقًا. أي أنه قد مرَّ علينا أربعة أيام دون نوم، وقد أصبح الرفاق عصبيين جداً.

وقررت أن أغيّر في الخطة المرسومة، رأيت أنه لم يبق أمامنا سوى إيقاف العملية عند هذا الحد. إذ أصبح مستحيلاً علينا أن ننتظر أكثر، في ظروفنا تلك.

وهكذا عقدنا اتفاقية مع الجزائريين. ففي مقابل أن لا نقتل أحداً من الرهائن، يعطوننا لجوءاً سياسياً ويؤمنوننا. لقد كانوا صريحين للغاية معنا، على عكس الليبيين، إذ لم يكونوا يريدون مزيداً من الدماء.

وهكذا أوقفنا العملية وسلمنا الطائرة والرهائن إليهم.

بادرته قائلاً: هناك عدة أسئلة تطرح نفسها:

١ ـ لماذا كنتم تصرّون على طلب طائرة أكبر؟

٢ ـ لماذا كانت العملية من أساسها؟

٣ ـ لماذا توقفت هذه العملية الضخمة بهذا الشكل المفاجىء؟

وأخذ يرد على أسئلتي:

ـ كان مقرراً للعملية أن تستمر خمسة أيام، يوم في أوروبا وشمالي أفريقيا. وأربعة أيام في الشرق الأوسط. لم نكن نريد أن نقوم بتوقفات كثيرة. فقط في الأماكن المقررة.

فالطائرة الكبيرة، «بوينغ ٧٠٧» أو ما يماثلها تستطيع أن تقطع تلك المسافات الطويلة، وهي تبيح لنا في نهاية العملية، أن نصل إلى البلد الذي ننوي اللجوء إليه سياسياً.

أيضاً الطائرة الكبيرة كانت توفر علينا الانشغال بالتفاصيل الصغيرة، حول الطائرة وحالتها. كما كان في استطاعتنا لو وجدت، أن نجعل بعضنا ينام قليلاً.

أما لماذا العملية ككل؟

فهي أولاً عملية سياسية بحت. نوع من الإعلان السياسي، وكانت رسالتنا التي وجهناها منذ البداية، توضح أهداف العملية بشكل كامل (أرجو أن تثبتها كاملة كملحق). لذلك لم نطلب أي أموال. كذلك لم نطلب إخراج أحد من المسجونين. كان علينا أن نترك كل الانتباه مركزاً على الناحية السياسية فقط. مبدئياً كانت العملية موزعة على ثلاث مراحل:

أولاً، تمت في النمسا بنجاح. حيث استولينا على مقر الأوبيك وأطلقنا سراح الوزراء الذين ليسوا من الشرق الأوسط.

أما المرحلة الثانية، فتبدأ حالما نحصل على طائرة أخرى، إذ نطلق الوزراء العرب الأصدقاء، كل واحد في بلده.

المرحلة الثالثة، وهي الأصعب، إذ لا يبقى معنا سوى الوزراء أو المسؤولين الأعداء.

ثمة ملاحظة هامة وأساسية. وهي أن عملية الأوبيك لم تكن ضد النمسا أو ضد الأوبيك نفسها. إنما هي ضد الأمبريالية والرجعية في الشرق الأوسط، وكانت فرصتنا الوحيدة لحجز هؤلاء الوزراء والمسؤولين هي فرصة اجتماع الأوبيك.

في المرحلة الأخيرة إذاً، ننتقل بالعملية كلها إلى مرحلة الطلبات السياسية. وكان المطلوب من السعودية وقطر والإمارات، أن تصرح كل منها بأشياء ضد سياستها النفطية. وتعطي وعوداً بتأميم النفط في بلادها، وتتعهد بتوظيف سلاح النفط ضد الأمبريالية و«إسرائيل». ليس فقط كأيام حرب تشرين الأول/ أكتوبر، وإنما بطريقة حقيقية. وتعد بأن تكون أموال النفط، ليس فقط للشيوخ والرأسماليين، وإنما لكل الشعب العربي، ومساعدة العالم الثالث، على أن يبث ذلك عبر الإذاعة والتلفزيون والصحافة.

أما إيران فنطلب منها انتقاد جرائم الحكم ضد الشعب الإيراني وسياسة الشاه الديكتاتورية. وأن تقطع عهداً بإعادة الجزر العربية الثلاث التي احتلتها في الخليج العربي، وأن تسحب الجيش الإيراني من عُمان.

أيضاً كان مقرراً، أننا إذا بقينا في وضع جيد، بعد خمسة أيام، أن نطلب عقد اجتماع عاجل لوزراء الخارجية العرب في القاهرة، يعلنون فيه رفضهم لاتفاقية سيناء وجنيف والتفاوض مع إسرائيل. بعد ذلك، نذهب إلى أي قطر يمنحنا اللجوء السياسي، ونطلق الوزراء الباقين.

اسم العملية كان، كما تعرف، «ذراع الثورة العربية» والعملية

بصراحة، لم تكن عملية فلسطينية، كما ظن بعضهم، كانت ثورية لخدمة حركة التحرر العربي.

(معلوماتي الشخصية تقول، إن إيقاف العملية في الحدود التي توقفت عندها، كان هو السبب المباشر لانفصام العلاقة بين كارلوس والعمليات الخارجية في الجبهة الشعبية. الأمر الذي اضطر كارلوس، إلى أن يبدأ بعمل تنظيمه الخاص به. ولم أحاول طرح هذه التفاصيل عليه، تفادياً لإحراجه).

الفصل الثالث عشر

أحب، لا أحب
إنها العملية الأصعب

بين المزاح والجد، بدأت معه نوعاً من «الحوار الصحافي»، ماذا تحب وماذا لا تحب؟ ولكن النتيجة كانت طريفة وفيها الكثير من البوح والصدق. وبدأ يسترسل:

أحب الأكل الجيد والشراب الجيد والسيكار الجيد. ثم أحب السرير الجيد والأحذية الجيدة... أملك ذلك الحس الأبيقوري بالأشياء. أحب الحياة الجيدة عموماً، ولكن الإغريق ترجموه على الشاكلة التي تعرف. مبدئياً، أحب أبيقور الأخير هذا كما أحب البوكر والبلاك جاك، أحب حفلات «البارتي» والرقص، أيضاً المسرح، المسرح الكلاسيكي خصوصاً. ولكنني لا أحب تملك الأشياء، ما أملكه لي وللآخرين. لكنني أيضاً، في لحظة، أتخلى عن كل متعي في الحياة، في سبيل القضية، في سبيل الثورة.

الثورة بالنسبة إليّ، هي الشراب الأقوى، الذي أحبه في الحياة... حتى أكثر من المرأة...

أحب النساء، الحياة الحلوة أعني، وليس الجنس فقط. أخيراً،

أحب الصداقة كثيراً. ليس هناك قصة حب كبيرة في حياتي، أنا أتناول الحب بسهولة، كأي تلميذ مدرسة كبير. وأنا أستطيع أن أحب أكثر من امرأة في وقت واحد.

ـ هذا يعني أنه ليس في حياتك قصة حب حقيقية؟

ـ هناك واحدة، تلك الفتاة الكوبية، إنها سونيا التي لي طفلة منها، ولكننا لم نتزوج رسمياً.

ـ تحبها أم تحب طفلتك؟

ـ ....!

ـ ألم تتزوج من بعدك؟

ـ كانت متزوجة قبل أن ألتقيها.

ـ وبعد؟

ـ لست أدري، إنما أعرف أنني أستطيع أن أضبط نفسي ساعة أريد. أحب الفتيات كثيراً، ولكني دائماً أحب «الكونترول»، معها الوضع مختلف، إنها شظية في قلبي، ولن أستطيع انتزاعها أبداً...

في مثل هذه اللحظات، كان كارلوس إنساناً آخر، مفرطاً في الحساسية والشفافية، وحزيناً... وكان الإحساس بالفقد، يخيّم عليه، وصورة الغياب، الرحيل غير المتوقع، يطوف من حولنا لكأنه حاصل لا محالة، بين لحظة ولحظة...

الفصل الرابع عشر

كارلوس والماركسية؟

على الصعيد الإيديولوجي، أريد أن أعرف ما هي هويتك الفكرية تحديداً، ولماذا أنت تقاتل في كل مكان؟ لست أدري لماذا تمر بي، في الكثير من جلساتنا، كلمات لشاعرنا العربي العتيق الذي أحب، المتنبي:

«يقولون لي ما أنت في كل بلدة
وما تبتغي، ما أبتغي جلَّ أن يسمى

هل الجواب عن تساؤلاتي، هو الطموح الملح، والحيرة الملحة؟

ماذا أنت فكرياً؟ هل أنت متدين، ملحد، ماركسي شيوعي؟

ـ قبل أن تكمل، ديني الحقيقي في السابق، لم يكن الكنيسة، كان الماركسية اللينينية. عملياً، كانت نوعاً من الوراثة في البداية. جو البيت والأهل والمحيط. عندما ابتدأت أفكر لنفسي، أكوّن فكري من جديد، بعد أسفاري ومعرفتي للروسيا خصوصاً، وأماكن أخرى في العالم، أصبحت متعصباً للكوبا، للكاستروية.

في ذلك الوقت لم يكن كاسترو أرثوذكسياً في شيوعيته، كان شيئاً جديداً، والآن عاد أرثوذكسياً.

من هذه الخبرات، عرفت شيئاً واحداً، ذلك أن ماركس ولينين، ستالين وماو، لم يصنعوا لنا نوعاً من الكتاب المقدس، الذي لا نستطيع الخروج عنه.

تعلمت أننا يجب أن نعرف كيف نستفيد من أسلوب ماركس في التحليل، من الديالكتيك، ومن خبرته في الثورة، وهي خبرة مباحة لكل الثوريين. التاريخ لا يعيد نفسه.

الزمن الآن يختلف عنه قبل عشرات السنين، الموضوع تغير، ولكن أهداف الثورة الماركسية يجب ألاّ تتغيّر.

ـ هل أنت تروتسكي أو غيفاري؟

ـ أنا لست من هذا ولا ذاك. أحب غيفارا وأعجب بتروتسكي، ولكنهما أخطأا، خصوصاً بالنسبة إلى الثورة العالمية، في آن واحد.

أتمنى لو أن ذلك يصح، ولكنه مستحيل، هدف الثورة، أن تخلق الثورة... لا ثورة مكتملة أبداً، حتى تكتمل الثورة العالمية. ولكن النصر، في كل بقعة على حدة، هو الطريق إلى تحقيق الثورة الشاملة.

ـ أنت تنطلق من واقع العنف الثوري، فهل يتعارض هذا مع الشيوعية الكلاسيكية هذه الأيام؟

ـ العنف الثوري حقيقة ماركسية. ماركس نفسه مارسه في كومونة باريس ١٨٧٠ وكذلك أنجلز في ألمانيا.

يبدو أن «بعضهم» توقف عن التفكير في الثورة العالمية منذ العام ١٩٦٠.

نحن ضد الحرب بين البلدان والاتجاهات الاشتراكية، الحرب الوحيدة التي نقرها، هي بين الاشتراكية والرأسمالية.

الواجب الأول بالنسبة إلى الثوري، هو أن يصنع بالثورة، أن يلتزم بالإنسان في العالم. وأن يكون منتظماً في تنظيمه الثوري الخاص، وحين يقف حزبك ضد الجماهير، فواجبك حينئذٍ أن تكون مع الجماهير.

يقولون الآن (أيام ١٩٧٧)، المعركة بين المعسكر الاشتراكي والمعسكر الرأسمالي!

تاريخياً، أبرز عمل تقدمه الثورة الروسية، بالنسبة إلى الثورة الماركسية، هو أن تدعم المعسكر الاشتراكي. الآن، الواجب الأول بالنسبة إلى الثائر الماركسي، يجب أن يكون قيادة حركات التحرر الوطنية مثل فلسطين، عُمان (تلك الأيام)، الكونغو أو كما جرى في فيتنام وأنغولا. وليس الدفاع عن المعسكر الاشتراكي، بل الدفاع عن حركات التحرر الوطني. المعركة الآن ليست بين المعسكرين، إنها بين حركات التحرر الوطني والأمبريالية. وهكذا، فإن موقعي الآن، كثائر ماركسي، هو مع الثورة العالمية، أن أقف إلى جانب حركات التحرر الوطني. ولهذا تجدني مرة مع الفلسطينيين، ومرة مع سواهم من حركات التحرر الوطني.

ـ تحدثنا عن الثورة العالمية، ولم نتحدث عن الإرهاب العالمي. هل تعتقد أن تعبير «إرهاب» ينطبق بدقة على وضعك؟!

ـ أنا لا أحب المداورة، في مثل هذه المواضيع، إنها الحقيقة.

الولايات المتحدة عملت أكبر حرب حديثة ومدمرة ضد شعب صغير كشعب فيتنام. الفيتناميون امتلكوا الموقع الثوري الذي انطلقوا منه، لمحاربة الأمبريالية الأميركية، امتلكوا شمال فيتنام. وهكذا استطاعوا أن يقيموا ثورتهم الاشتراكية الخاصة، بعيداً عن التبعية للصين أو للروسيا. النموذج الفيتنامي، هو النموذج الحي الأول في العالم الآن، نموذج لنستفيد منه، وليس لننقله حرفياً.

الفلسطينيون لا يمتلكون الموقع. الأرض التي يقاتلون منها أعداءهم، يقفون من خلالها في وجه إسرائيل، إنهم ينتشرون في كل الوطن العربي، الأقطار العربية تضربهم، رغم ادعائها تحرير فلسطين.

في كل الأقطار العربية، يخافون من الشعب الفلسطيني، ولا يريدون أن يدعموا ثورة تحررية فلسطينية حقيقية، إنهم فقط، يريدون تنظيمات وأجهزة فلسطينية تعمل لمصلحتهم. عملاء فلسطينيون بعدة وسائل. يعملونها هم تارة، ويسيطرون على ما هو قائم.

تنظيمات قليلة، هي التي استطاعت حتى الآن، أن تحافظ على استقلالية قرارها. هذا الإشكال يجب أن يتبدل، ليس فقط من قبل الفلسطينيين، بل من كل الشعب العربي.

ـ وما هو موقع الإرهاب العالمي من كل هذا؟

ـ لنحرر فلسطين، هذا يعني أن نحطم الكيان الصهيوني، ولنحطمه، يجب أن نقيم الثورة في الأقطار العربية(!) وهذه الأقطار لا تقودك حتى الآن إلى مقاتلة إسرائيل. وهذا يعني،

أنك ستقاتل أيضاً، داخل الأقطار العربية، قبل أن تقاتل ضد إسرائيل، فهي ليست وحدها، إنها الموقع الأول للأمبريالية في المنطقة. الشعب الفلسطيني لا يستطيع أن يقاتل الإمبريالية وإسرائيل، معاً، خصوصاً أن الفلسطينيين لا يمتلكون الأرض التي يقاتلون منها حالياً. ولهذا عليهم أن يقاتلوا الأمبريالية الآن ويوجهوا إليها الضربات.

واحدة من الطرق لضرب الأمبريالية، هو أسلوب الإرهاب العالمي.

ولكن الإرهاب العالمي، كما أفهمه، هو جزء بسيط من الثورة العالمية، لا أكثر..

هل انتهيت من كتابي الآن؟ هل هذه هي النهاية؟ الواقع أن لا! فهو، أي الكتاب، نوع من السيرة، التي تواكب حياة وعمليات كارلوس، ونهايته متعلقة باستمراريته.

نهاية هذا الكتاب يكتبها كارلوس وحده! إنني أتركه بلا نهاية، بانتظار أن ينهيه هو، على طريقته، وغداً قد يطلع علينا بمفاجأة جديدة... (أيضاً هذا الكلام كان قبل ثمانية عشر عاماً، فهل تكون تلك النهاية التي أشرت إليها، هي في سجن كارلوس الحالي... نهاية تشبه الأفلام العربية السمجة... «خلف القضبان»، أم أن الأيام حبلى بالجديد، وأن النهاية لم تبدأ بعد؟!). قضينا هذين اليومين معاً. أنهيت تسجيل ملاحظاتي، وقررنا أن نتوقف عند هذا الحد حالياً. نام عندي الليلة الماضية.

من طرائفه، أنه لا يستطيع النوم قبل أن يغطي وجهه، فهو لا يحتمل أي ضوء عندما يود أن ينام. وكلما كان مقبلاً على عملية

جديدة، يحاول أن ينام ليفكر... (ترى، هل يكثر من النوم في سجنه الآن؟). وعادة لا ينام نوماً حقيقياً، قبل ساعات. لأنه يرسم تفاصيل خططه في ذلك الوقت كما يبدو. غدا سيسافر كارلوس، وقد لا أراه ثانية، بعد أن ترك لي، كل ما يمكن تركه، من أسرار حياته.

سيكون حزني عظيماً عليه، لو حصل له أي مكروه. كنت أتوقع دائماً أن ينتهي وهو يخوض معركة ما، ولكن، لا أحد يستطيع ضبط حوادث الأيام. هل هو سوء طالعه، أم أنها فرصة جديدة له؟ بعد أن ضاق عليه العالم، ضاقت دائرة تحركه أكثر مما يجب، بعد غياب الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية، والتطورات المتلاحقة، في الشرق الأوسط. كل ما أستطيع قوله، إنني أشعر بالمزيد من الحزن بعد اعتقاله، كي لا أقول اغتياله، وكل ما أستطيع فعله لصديقي العتيق السجين، هو أن أدفع بهذه المادة القديمة إلى النشر. ولكن ثمة يقين لا تفسير له، يؤكد لي، أنني سأراه من جديد، هذه المرة على الأقل. أعرف أن صورته مطلوبة في كل أنحاء العالم، ولكنه أصرّ على أن أختار واحدة، غلافاً لكتابي، فانتقيت واحدة، بسيطة وواضحة. وقد كتب عليها بخطه الدقيق الناعم: «إلى شاعر رائع من تلميذه شعرياً ـ كارلوس».

لست أدري، لماذا كانت رغبته حارة، حول ضرورة أن أضمن نصي هذا، بيان حركة «ذراع الثورة العربية» الذي وزع أيام عملية الأوبيك.

ربما لأنه يعتبره تلخيصاً لمبادئه السياسية، وللعملية نفسها، ولهذا فإنني سأثبته بحرفيته، تحقيقاً لرغبته تلك. ترى، هل في استطاعتي أن أحقق أية رغبات أُخر، لصديقي العتيق السجين؟

الفصل الخامس عشر

تمهيد لبيان «ذراع الثورة العربية»

بيان «حركة ذراع الثورة العربية» الذي أذاعه كارلوس ورفاقه أثناء عملية الأوبك، يبدو في هذه الأيام، على جانب كبير من الأهمية، بعد كل ما مر، وبعد ما جرى ويجري على الساحتين الفلسطينية والعربية. وأنا أثبته هنا، كوثيقة، لهذا السبب أولاً، ولأن كارلوس كان قد أوصاني بضرورة إثباته في آخر الكتاب. إلاّ أنه كبيان، كتب في العام ١٩٧٥، لا يجوز تقديمه هذه الأيام (١٩٩٧)، دون إعادة قراءة له والتعليق على بعض ما جاء في نصه، خصوصاً أن معظم الطروحات التي فيه، قد تجاوزها الزمن، وقراءتها الآن لا تبعث في النفس غير الأسى والأحزان، وربما السخرية المرة أحياناً. لما آلت إليه الحال. فما هي اللغة التي يتحدث بها هذا البيان، الذي يظل مهماً، رغم كل شيء.

في الأساس يلح في ضرورة عدم الاعتراف بشرعية الوجود الصهيوني على أرض فلسطين. هذه اللغة، رغم حقيقتها الراسخة، ورغم أننا أضعنا نصف قرن من الزمان ونحن نلح فيها، ماذا بقي

منها الآن، منذ مؤتمر مدريد وحتى الساعة، وما سيأتي في السنوات القليلة المقبلة؟

وهل كل معاهدات «السلام» مع كل الجهات، إلاّ تكريس لهذا الاعتراف، أكان سلاماً عادلاً أو سلام «الشجعان» أو أية تسميات وإطلاقات ترفع كشعارات هذه الأيام! وكيف يكون العدل مع الاغتصاب؟ وأين هي الشجاعة التي لها يروجون، مع توقيع الصكوك بالاعتراف الواضح الذي لا لبس فيه، بوجود الكيان الصهيوني وشرعنته؟

ثمة تغنٍّ وإشادة بحرب تشرين/أكتوبر ١٩٧٣ في البيان. ولعل أبرز ظاهرتين في تلك الحرب، هما اجتياح الجيش المصري للقناة، رغم كل ما حصل بعد ذلك من اختراق لـ«الدفرسوار» وسواه، ثم قدرة الجندي العربي السوري على التعامل مع الآلة الحديثة، في معركته مع العدو.

أما نتائج تلك الحرب، وماذا كسب العرب وماذا كسبت إسرائيل؟ فأمور قد يكون لنا فيها رأي محدد، نفضل عدم طرحه أو الخوض في تفاصيله الآن، ثم يتحدث البيان عن «سياسة بترولية قومية تجعل ثرواتنا النفطية سلاحاً فعّالاً في معركتنا ضد مخططات التآمر والاستغلال والسيطرة الصهيونية ـ الأمبريالية على مقدراتنا وإرادتنا ومصيرنا».

هذا الكلام يبدو الآن على قدر كبير من السذاجة المضحكة المبكية، خصوصاً بعد حرب الخليج الثانية والنتائج «الباهرة» التي نتجت منها، وها هي أميركا ومن ورائها إسرائيل، «تقعد» سعيدة على فوهات آبار النفط، تتصرف فيها كما تصرفت بممتلكات الهنود الحمر في ماضيها «المجيد».

إن بترولنا أصبح في أيدي أميركا وإسرائيل، وكل مبيعاته خاضعة لسيطرتهما وتذهب لتغطية حرب أميركا «عاصفة الصحراء» ودفع نفقات وجودها العسكري، براً وبحراً وجواً، في المنطقة، منذ تلك الحرب (١٩٩١) وحتى أبد الآبدين.

حتى دول النفط، ستصبح مع الوقت، وقد بدأت فعلاً، من الدول الفقيرة، فأي حديث بعد كل هذا، عن سياسة بترولية قومية؟!

حتى حين يتحدث البيان عن «القوى العربية الثورية الصاعدة في أنحاء العالم العربي، كظفار والساقية الحمراء وأريتريا وغيرها» يبدو الحديث مضحكاً مبكياً أيضاً.

أما حديث «ضرب المقاومة الفلسطينية وتحجيمها ومحاصرتها» فقد أصبح حديثاً بالياً مهترئاً، خصوصاً بعد الاجتياح الإسرائيلي للبنان، وما آلت إليه أوضاعها لاحقاً. كذلك حين يقول: «بالإضافة إلى تهديم المنبر الإعلامي العربي في لبنان، الذي كان مرشحاً لكشف الفضيحة ونشرها وتحريض الجماهير العربية على الاعتراض عليها». فكلنا يعرف أن لبنان دفع غالياً في حرب السبعة عشر عاماً، ثمناً لذلك المنبر الإعلامي الذي دمر، كما دفع غالياً ثمن الحرية والديموقراطية اللتين كانتا شائعتين فيه. وقد أصبح واضحاً، لكل ذي بصر أو بصيرة، أن المنابر الإعلامية غير مسموح بها، إلاّ بالقدر الذي يتناسب مع المرحلة الراهنة، مع السلام الأميركي - الإسرائيلي، «سلام شجعان». وأن أعدى أعداء أميركا، «رائدة الحرية في العالم الحر» هما الحرية والديموقراطية، وفي المنطقة العربية تحديداً.

ولعل التعبير الوحيد، الذي لا يزال حديثه ممكناً، هو «غياب الموقف

الحاسم للجماهير العربية، التي جهدت الأنظمة العربية في قيادتها إلى حالة اليأس والتعب واللامبالاة». فالصورة لا تزال راهنة، وهي وحدها القابلة للمناقشة وإعادة طرح الأسئلة على الجميع، أنظمة وشعوباً.

ثم «إن الحركة تدعو الجماهير وطلائعها النضالية من أحزاب ومنظمات، أن تخرج عن صمتها وجمودها، لمواجهة المؤامرة بالعنف الثوري الرادع».

كلام جميل، ولكنه يبعث على الحزن والمرارة هذه الأيام، فأين هي الأحزاب والمنظمات التي يدعوها البيان إلى الانتفاض وممارسة العنف الثوري في مواجهة المؤامرة؟ لعل ذلك يصبح ممكناً بعد خمسين عاماً أو أكثر، إذا ظلت الحال على ما هي عليه الآن.

ولعل الخطاب الجميل التالي، الذي يدعو إلى عدم «الانزلاق واستبدال السلم بالاستسلام والحكمة بالتخاذل والواقعية بالسقوط في منطقة الخيانة» هو الوحيد الذي يستشعر الخطر قبل حصوله واستفحاله، هو الوحيد الذي يناسب الممارسات والشعارات القاصرة وغير الذكية التي تطرح في الساحة العربية.. وإن بدا بشكل أو بآخر، أنه أصبح هو الآخر، حديثاً متأخراً، جاء بعد فوات الأوان...

ويأتي الصراخ المأزوم التالي في البيان، وكأنه صرخة في واد...

«إن من يعمل، سلباً أو إيجاباً على قبول وتدعيم الاغتصاب الصهيوني في أرضنا، والسيطرة الأمبريالية على مصيرنا، هو خائن. من يعترف بإسرائيل خائن، من يقبل مفاوضتها ومعاونتها على الاغتصاب خائن، ويستحق حكم الجماهير الغاضبة من أجل مصيرها وكرامتها»...

فهل نعتذر عن هذه الصرخة، أم ماذا نقول، وقد صيغ هذا البيان، بموافقة أكثر من طرف عربي في حينه، كما يبدو ذلك جلياً، إذا ما قرأناه قراءة متأنية وعميقة...

لعل المطالبين بالاعتذار، هم من صاغوا هذا البيان ووافقوا على صياغته...

قبل أن أنهي تمهيدي لبيان «ذراع الثورة العربية» لا بد من أن أشير إلى نقطة، قد تبدو على شيء من الأهمية، وهي أن ثمة ثغرات كثيرة في هذا الكتاب، أعرفها جيداً، ولكنني لا أستطيع شيئاً حيالها. فأنا أكتب في منطقة الشرق الأوسط، كما شاعت التسمية مؤخراً، لاستبدالها بصيغة المنطقة العربية أو الوطن العربي، فيصبح بالإمكان حشر إسرائيل فيه واعتبارها جزءاً منه، من هذا «الشرق أوسطي» دون كبير إحراج. إنها إرادة «زعيمة النظام العالمي الجديد» وإرادتها لا رادّ لها عند الكثيرين.

قد لا يفهم القارىء الأوروبي ملاحظتي هذه للوهلة الأولى، فنحن نعيش في عالم، حرية الفكر والتعبير والبحث مصونة فيه بشكل قتّال، حتى لتوشك منطقتنا أن تصبح، وهي من العالم الثالث على أية حال، هي الجمهورية الفاضلة نفسها التي تحدث عنها أفلاطون في غابر الزمان. كثيرة هي الأشياء التي أنت مرغم أن تمر بها مرور غير الكرام، وأن تتجاهلها، أو تركنها جانباً لأنك تغامر في أرض مكشوفة. كان من الممكن أن لا أنشر موضوعي هذا، واعتصم بالصمت، ولكنني أحرجت لأكثر من سبب، لعل أهمها، أن كارلوس السجين الآن، هو أحوج ما يكون إلى كلمة مغايرة منصفة، إلى كلمة صديقة، والأعداء من حوله، وفي كل الاتجاهات، وهم يحاولون النيل منه والاجهاز عليه.

لقد فوجئت شخصياً، أنه لم يعط أي حديث صحافي أو إعلامي في حياته، سوى ذلك الحديث اليتيم الذي أجريناه معاً في العام ١٩٧٦ ـ ١٩٧٧. وقد نشر جزء منه سابقاً، مما يشكل نوعاً من الوثيقة النادرة، والتي لا يجوز طيها وإغفالها في الظروف التي أشرت إليها.

أيضاً، لقد كثرت الأقوال والتعليقات، والتصريحات الجازمة، في أكثر من منبر إعلامي، وكلها يؤيد أن كارلوس هو من حاول اغتيالي في العام ١٩٨٠. حتى لأوشك الناس أن يعتبروا ذلك حقيقة لا تحتاج حتى إلى المناقشة.

ولأنني ما زلت على قيد الحياة، لصدفة لا أفهمها حتى الآن، فإن من واجبي أن أقول كلمتي، وكان لا بد من قولها، وأن أنفي كل ما كتب أو قرر، نيابة عني، في هذا الموضوع، وأن أبرىء ساحة الرجل، وأرفع عن كاهله تهمة جديدة هو براء منها.

لو كنت أعيش في أوروبا، مثلاً، لكان كتاباً مختلفاً ولا ريب. ولكتب بشكل آخر. ولكن هذا كل ما استطعت أن أقوله حيث أعيش... فهل أعتذر عن بعض الغموض، وعن مرور غير الكرام، ببعض الجوانب التي كان يمكن لها أن تكون أكثر وضوحاً، وأكثر دقة في الشرح والتحليل والبحث؟!

الفصل السادس عشر

بيان «حركة ذراع الثورة العربية»
عملية الأوبيك

أُورد بيان عملية فيينا بالذات، لأن هذه العملية كانت بحت سياسية (هذا ما أكّده لي كارلوس دائماً رغم الشائعات التي تحدثت عن مليار دولار مقابل إطلاق الرهائن في الجزائر). ولأنها تتميز بأهمية خاصة، وحجم نوعي يكاد يكون جديداً على عمليات الإرهاب السياسي، أو يشكل تجاوزاً لحدودها ومفاهيمها.

إنها العملية التي لم تطالب بأي مقابل، سوى الهدف الإعلامي والسياسي.

قال لي: **رفضت المساومة على المال، رغم حاجة «المركز» الماسة إليه، كذلك لم نطلب الإفراج عن مساجين من رفاقنا. فقط ركّزنا على الهدف الإعلامي السياسي.**

وهذا نص البيان الذي وزّع إبّان العملية:

«لقد أصبح واضحاً للجميع، أن القضية العربية المصيرية، من خلال القضية الفلسطينية، وعلى هامشها، تتعرض لمؤامرة كبرى،

تستهدف الاعتراف بشرعية الوجود الصهيوني في أرضنا، وترسيخ أوضاع التجزئة والضعف والتفرقة في الوطن العربي، وخصوصاً في المنطقة المحيطة بالأرض العربية الفلسطينية المحتلة، وذلك لتمكين دولة العدوان من تنفيذ مخططاتها التوسعية العدوانية.

إن الدولة الصهيونية، بالإضافة إلى مناوراتها في استدراج الاعتراف العربي الفلسطيني بشرعيتها(؟) لم تتراجع خطوة واحدة عن هذه المتطلبات، بل قدمت وتقدم باستمرار الدلائل القاطعة على اعتبارها المسألة الحيوية الأساسية على ضمان بقائها واستمرارها. سواء بالتصرفات الواضحة لكافة الشخصيات الصهيونية على اختلاف أحزابها واتجاهاتها، أم بالعمل المحسوس على طريق الاحتلال والتهجير والتهديد والعمل المحموم لاستقدام المهاجرين، وإنشاء المستعمرات الجديدة الثابتة في أرجاء الضفة الغربية وغزة والجولان. إن هذه المخططات تستفيد من نتائج المؤامرة الخطيرة التي ينفذها في أرضنا التحالف المفضوح بين الأمبريالية الأميركية والقوى الرجعية والاستسلامية في الوطن العربي، والتي تستهدف ضرب الصمود والتضامن وخلق حالة من الفراغ والضعف والتشتت والتقاتل وفك التعبئة النفسية والقتالية للجماهير العربية وقواتها المسلحة، باتجاه مصادر العدوان، مما يتيح لهذه المخططات فرص التحقق بوسائل حديثة، هي مزيج من القوة العسكرية المتنامية والقوى الاقتصادية - السياسية التي ستغزونا مباشرة أو مداورة تحت الغطاء الأميركي، الذي تستجديه وتهلل له الأنظمة الرجعية الخائنة والمتخاذلة في الوطن العربي.

إن هذه الأنظمة التي بدأت تخشى من تصاعد قوة المقاومة الفلسطينية، كطليعة ورائدة للثورة العربية الشاملة، بأسلوب الكفاح

الشعبي المسلح، والتي تملكها الرعب من يقظة تيار الوحدة والتحرير على لهب حرب تشرين الأول/أكتوبر المجيد. لقد لجأت إلى أسيادها الأميركيين لتضع تحت أقدامهم، ثروات الشعب العربي النفطية، ثمناً لمخطط بارع في إنقاذها.

ولقد لمست الجماهير العربية، بوعيها وحسّها العميقين، نتائج هذا المخطط الجهنمي المعقد، والتي عبّرت عن نفسها، بخطوط متوازية ومتشابكة منها:

أولاً: ضرب التضامن العربي الذي برز في حرب تشرين الأول/أكتوبر، عبر عمليات الحصار والتضييق والترغيب والترهيب والترويض، التي تعرضت لها الأنظمة العربية الوطنية، وفي طليعتها سورية.

ثانياً: تعزيز التجزئة والانقسام بين الدول العربية التقدمية وبين المنظمات الفلسطينية، على طريق إثارة المشاريع المشبوهة التي تذكي الخلافات والصراعات بها وتعطل الفرصة التاريخية لتوحيد جهودها باتجاه معركة الوحدة والتحرير.

ثالثاً: عرقلة الجهود التي تقوم بها بعض الدول العربية، لخلق وتثبيت سياسة بترولية قومية تجعل ثروتنا النفطية سلاحاً فعّالاً في معركتنا ضد مخططات التآمر والاستغلال والسيطرة الصهيونية ـ الأمبريالية على مقدراتنا وإرادتنا ومصيرنا.

رابعاً: إقامة التحالفات «المقدسة» بين القوى الرجعية العربية وأصدقائها، وعلى رأسهم النظام الإيراني العميل، من أجل محاصرة وضرب القوى العربية الثورية الصاعدة في

أنحاء العالم العربي، كظفار والساقية الحمراء واريتريا وغيرها.

خامساً: المجزرة الرهيبة في لبنان (كانت الحرب اللبنانية في بداياتها) والتي تستهدف:

أ ـ **على المدى القريب المباشر:** ضرب المقاومة الفلسطينية أو تحجيمها ومحاصرتها وشلّ فاعليتها وجرها إلى قبول صيغ الحلول الاستسلامية بأرخص الأثمان. ومنعها من التحرك الفعال للرد على المؤامرة والاحتجاج عليها. بالاضافة إلى تهديم المنبر الإعلامي العربي في لبنان، الذي كان مرشحاً لكشف الفضيحة ونشرها وتحريض الجماهير العربية على الاعتراض عليها.

ب ـ **على المدى البعيد:** العمل على تفتيت وإضعاف المنطقة المحيطة بالدولة الصهيونية عن طريق الحروب الطائفية وإقامة الدول الطائفية فيها، إذا أمكن، مما يؤمن مصلحة إسرائيل ومشاريعها التوسعية، في حالة الحرب وفي حالة السلم.

إن هذه المؤامرة التي خططتها وتساهم في تنفيذها الصهيونية والأمبريالية والرجعية العربية، بالإضافة إلى الأنظمة العربية، والأنظمة الاستسلامية، يوجهها ويدفعها نظام السادات، ما كانت لتجد لها الطريق سهلة وسالكة، لولا غياب الموقف الحاسم للجماهير العربية، التي جهدت الأنظمة العربية في قيادتها إلى حالة اليأس والتعب واللامبالاة.

إن «حركة ذراع الثورة العربية» التي تضم مناضلين من كافة البلدان العربية، والتي جاءت تعبيراً عن وجدان الأمة العربية ووعيها العميق لمصيرها ومستقبلها، قررت باسم الشعب العربي وطلائعه الثورية، التصدي للمؤامرة وضرب أطرافها وإنزال العقاب الثوري بكل الشخصيات والفئات المساهمة فيها، وإن الحركة، إذ تعاهد الجماهير على القيام بواجبها التاريخي، تدعو هذه الجماهير

وطلائعها النضالية، من أحزاب ومنظمات، أن تخرج عن صمتها وجمودها، لمواجهة المؤامرة بالعنف الثوري الرادع.

إن السكوت على المؤامرة التاريخية، هو مساهمة فيها وتسهيل لمرورها، وعلى الجميع أن يتحملوا مسؤولياتهم التي تفرض علينا أن نخرج من دائرة التضليل والخداع والتمويه، والتي تشترك في تطويق وعينا بها، ليس فقط الأطراف المتآمرة في الوطن العربي، بل بعض الفئات المخلصة المخدوعة، التي تنزلق إلى استبدال السلم بالاستسلام والحكمة بالتخاذل والواقعية بالسقوط في منطق الخيانة.

إن الأمر واضح وضوح الليل والنهار، إن من يعمل سلباً أو إيجاباً على قبول وتدعيم الاغتصاب الصهيوني في أرضنا، والسيطرة الإمبريالية الأميركية على مصيرنا هو خائن. من يعترف بإسرائيل خائن، من يقبل مفاوضتها ومعاونتها على الاغتصاب خائن، ويستحق حكم الجماهير الغاضبة من أجل مصيرها وكرامتها.

لقد خطت المؤامرة خطوات سريعة واضحة، وها هو السادات يقدم للآخرين النموذج الفاضح للاستسلام والخيانة (لم يكن قد ذهب إلى القدس المحتلة بعد) فيما تستعد بعض الأطراف العربية والفلسطينية للاقتداء به، تحت ستار من المزايدات ومهازل الانتصارات الدبلوماسية.

إن المحاولات القائمة الآن لاستبدال مسرح توقيع المؤامرة، بنقل مائدة المفاوضات من جنيف إلى مجلس الأمن الدولي، ومن خلال استغلال الاعتراف الطبيعي بحق شعبنا في أرضه، لن تنطلي على وعي الجماهير العربية وحسها السليم. وستعمد إلى محاربتها ومحاربة كل الجهات الضالعة فيها.

إن «حركة ذراع الثورة العربية» إذ تقوم بتنفيذ هذه العملية تحذر الأنظمة العربية الرجعية الاستسلامية من الاستمرار في خط المؤامرة والسكوت عنها، تتوجه إلى الأنظمة العربية الوطنية والتقدمية لتضعها أمام مسؤولياتها التاريخية، فتعمد إلى توحيد صفوفها وجهودها للوقوف في وجه **الكارثة المقبلة**، وقيادة الشعب العربي في خط الإنقاذ القومي، الذي تتكامل فيه معركتا التحرير والتوحيد.

إن الحد الأدنى لبرنامج الإنقاذ لا بد أن يشمل البنود الأساسية التالية:

١ ـ التأكيد على احترام اللاءات الثلاث (رحم الله عبد الناصر فقد كانت لاءاته لمؤتمر القمة العربي في الخرطوم): لا مفاوضات، لا صلح ولا اعتراف بدولة الاغتصاب الصهيوني.

٢ ـ إدانة كل التسويات والمشاريع السياسية الرامية إلى تمزيق هذه المعادلة الرافضة للاستسلام وإعطاء المشروعية الضمنية أو العلنية لاغتصاب أي شبر من الأرض العربية في فلسطين.

٣ ـ في ضوء ذلك، إدانة اتفاقية سيناء الخيانية وفتح قناة السويس العربية في وجه البضائع الصهيونية، والمطالبة بإلغائها لتمكين الجيش العربي المصري البطل من إكمال انتصاراته في حرب تشرين الأول/ أكتوبر، بخوض معركة التحرير الكاملة، مع جيوش الجبهة الشمالية الشرقية.

٤ ـ إدانة المحاولات الرامية إلى جر الدول العربية والمقاومة

الفلسطينية إلى طاولة المفاوضات والصلح والاعتراف بجنيف أو أي مكان آخر، وعبر كافة الصيغ الاستسلامية الأخرى.

٥ - إقامة الجبهة الشمالية من سورية والعراق والمقاومة الفلسطينية، على أساس رفض التسويات وتصعيد حرب التحرير الشاملة.

٦ - تنشيط مسيرة الوحدة العربية التي يعتبر تحقيقها شرطاً أساسياً للإنقاذ القومي وذلك على طريق مبادرات وحدوية بين الدول العربية المتكاملة جغرافياً وسياسياً، مثل العراق، سورية، دول الخليج العربي، اليمن الشمالية واليمن الجنوبية، مصر والسودان، ليبيا وتونس والجزائر.

٧ - إعلان مبدأ السيطرة الكاملة على طاقاتنا النفطية والمالية، بتأميم الشركات البترولية والاحتكارات واعتماد سياسة بترولية مالية قومية، تتيح للشعب العربي استخدام موارده في سبيل تطوره وتقدمه وحماية مصالحه القومية وتعزيز سيادته بالإضافة إلى مساعدة الشعوب الصديقة، من دول العالم الثالث على الخروج من أوضاعها الاقتصادية الصعبة، على أن تعطى الأولوية الكبرى لتمويل دول المواجهة والمقاومة الفلسطينية.

٨ - إعلان موقف واضح من الصراع المأسوي الدائر في لبنان، بإدانة ومواجهة المؤامرة الإنعزالية الطائفية التي ليست سوى وجه من وجوه المؤامرة الصهيونية - الأميركية - الرجعية الكبرى. وتقديم الدعم المادي والمعنوي الفعال للقوى الوطنية العربية اللبنانية والمقاومة الفلسطينية التي

تدافع عن وحدة لبنان وانتمائه العربي الأصلي.

إن جميع القوى السياسية والشعبية، وجميع الحكومات العربية، مدعوة لاتخاذ موقف صريح وعاجل إزاء هذه القضايا الخطيرة التي يتحدد عبر الجواب عليها، معسكر الإخلاص ومعسكر الخيانة للقضية القومية.

إننا نقدم أسفنا للإحراج الذي سببته عمليتنا للشعب النمساوي المسالم، الذي نأمل أن يتفهم الدوافع الهامة والشريفة لهذه المبادرة التي تقوم بها مجموعة من المناضلين للتعبير عن وعيهم للخطر الكبير الذي يتهدد قضية شعبهم العادلة.

النصر للأمة العربية في نضالها من أجل الوحدة والتحرر والعدالة، والموت لأعدائها المتآمرين في الداخل والخارج. عاش نضال الشعوب المستقلة المضطهدة، ضد تحالف الأمبريالية والصهيونية العنصرية والرجعية».

«حركة ذراع الثورة العربية»

الفصل السابع عشر

الملف العتيق
رائحة الموت

أواخر السبعينيات، استطاع الصحافي الألماني روبرت فيغير، الذي كان يعمل كمندوب لمجلة «دير شبيغل» في الشرق الأوسط، التعرف إليَّ، وقد نشأت بيننا علاقة زمالة طيبة. كان قد سمع عن كتاب أحاول نشره عن كارلوس، فجاء يعرض عليَّ أن يساهم معي في الكتاب، من طريق التوثيق وجمع المعلومات الإضافية في الصحافة العالمية وسواها.

يومها لم تكن العلاقة قد انقطعت بيني وبين كارلوس، كان لا يزال في إمكاني أن أرسل له رسالة من طريق أصدقاء مشتركين، وأن أنتظر الجواب منه.

أرسلت أسأله عن روبرت، وعن مشروعه، فأرسل يحذرني من التعامل معه، أو مشاركته في الكتاب. فاعتذرت لروبرت، بدعوى أنني لا أفكر في النشر حالياً. ولكنه أصرّ على أن يحضر إليَّ مجموعة من القصاصات والمقالات المنشورة في صحف غربية علّها تساعدني في عملي، في نوع من توكيد حسن النية.

بعد أيام سمعت بنبأ اغتيال روبرت فيغير، قرب شقته في منطقة

المنارة ببيروت. فحزنت كثيراً لذلك. فقد نشأت بيننا علاقة زمالة طيبة كما أسلفت، ولأنني ضد مبدأ الاغتيال أساساً. ولقد تعرضت للاغتيال شخصياً بعد أشهر من ذلك.

منذ أيام، وجدت في مكتبي ذلك الملف الذي خلفه عندي روبرت. فتحته، لعلي أجد فيه ما يساعدني فعلاً، في محاولة الكشف عن بعض الجوانب التي لم يكن كارلوس قد أطلعني عليها، في لقائنا الطويل، والذي أمسى شهيراً الآن، خصوصاً حول علاقته بالمنظمات «الإرهابية» الأخرى. طبيعي أنني أكره كلمة الإرهابية هذه، وأفضل استعمال الكفاح السياسي المسلح. ولكنها أصبحت شائعة وأكثر دلالة، فلا بأس من استعمالها ضمن قوسين إذاً.

حين فتحت الملف العتيق هذا، فاحت منه رائحة الموت... لقد مرّ على أوراقه وقت طويل. ولكنني للأسف لم أجد فيه ما يساعد. فكلها معلومات أمست قديمة، وهي غير ذات قيمة.

بعض تلك القصاصات تتحدث عن الطريقة التي استطاع فيها كارلوس مغادرة فرنسا، بعد قتله لضباط الشرطة الفرنسية وميشال مكربل (عملية الحي اللاتيني). أظن أن اسم الصحيفة غير الواضح هو (فرانكفورت الغماني ١٤/٨/١٩٧٨). وهي تروي حكاية معقدة عن كيفية التجائه بداية إلى السفارة الكويتية ومنها انتقل إلى السفارة الجزائرية، ثم نقل بسيارة ديبلوماسية إلى القنصلية الجزائرية في بون، ثم إلى قنصلية نيس ومنها إلى قنصلية مارسيليا، حيث رحل من هناك على سفينة جزائرية للتصدير الزراعي (OFLA). وأنه أثناء انتقاله إلى الجزائر، روّجت شائعات مفادها أنه شوهد في لندن أو ألمانيا الغربية، أو حتى في أميركا اللاتينية.

أستعرض هذه القصاصات، ليس لأنها وثائق مهمة، أو قريبة من الحقيقة، وهي في اعتقادي مجموعة من الشائعات أيضاً، تناقلتها الصحف العالمية عنه، ومعظمها مستقى من الأجهزة الغربية، حين كان في تلك الأيام شغل الصحافة الشاغل.

وفي عدد (النيوزويك ١٩٧٨/٤/٢٢) حديث طويل عن علاقة كارلوس بالألوية الحمراء، والتي تصفها الصحيفة بأنها ظاهرة إيطالية كالمافيا. وتتضمن كذلك إشارات إلى دور الاتحاد السوفياتي في دعمه، وعن إمكانية إقامة معسكرات للتدريب بإشراف السوفيات، ثم عن دور الكوبيين كصلة وصل بين موسكو والمنظمات «الإرهابية». مع حديث عن إقامة كارلوس في فيللا على البحر بليبيا. كما تؤكد الصحيفة على دور تشيكوسلوفاكيا مع جميع المنظمات، وأن اللقاءات بين أقطابها كانت تتم في معظمها، في منتجع كارلو فيفاري.

ومن الأدلة التي تسوقها على متانة العلاقة بين كارلوس و«بادر ماينهوف» الألمانية، أن القنبلة التي ألقاها في «دراغ ستور» باريس، أثناء عملية اليابانيين في لاهاي، هي من تلك الأسلحة الأميركية التي كانت ماينهوف قد استولت عليها من إحدى الثكنات الأميركية في ألمانيا، وهي من نوع (M26).

وفي (الواشنطن بوست ١٩٧٥/٨/٧) محاولة للربط بين المنظمات «الإرهابية» العالمية، وعلاقات كارلوس بها، وأنه يكاد يكون صلة الوصل بينها جميعاً، كما تصر الصحيفة على أنه احتل مكان الجزائري بوضيا، الذي اغتالته المخابرات الإسرائيلية في العام ١٩٧٢، كما تشدد على العلاقة الوثيقة بينه وبين الجيش الأحمر

الياباني، لأنه ساعدهم في عملية لاهاي، وهم بدورهم قد سبق لهم أن قاموا بعملية مطار اللد الإسرائيلي في العام ١٩٧٢ لمصلحة الفلسطينيين.

وفيها حديث عن علاقته بيادر ماينهوف والأسلحة الأميركية المسروقة (قنبلة دراغ ستور).

ثم يتطرق المقال إلى طبيعة علاقته بالكوبيين، وأنهم كانوا يساعدونه في تحركاته، مستشهدة بطرد الحكومة الفرنسية لديبلوماسيين كوبيين، بعد تسهيل هربه من فرنسا إثر عملية الحي اللاتيني الشهيرة.

وتشير أخيراً إلى عمليات كان ينوي القيام بها ولم ينفذها، كاغتيال وزير النفط السعودي، اليماني، واغتيال زوجة السادات، وتفجير سفن في قناة السويس لإيقاف العمل فيها كي لا تمر فيها السفن الإسرائيلية.

في (النيويورك تايم ١٩٧٦/٩/٢٧) تحليل لا يخلو من الدقة والذكاء، ولكنه يظل في العموميات، بدليل فشل الأجهزة الغربية التي تستقي معلوماتها منها. فهي تقول مثلاً: أن هناك قاسماً مشتركاً بين تلك المنظمات، وهو تسليط الضوء على قضاياها، وأنها كانت تستغل «الإرهاب» لأهداف سياسية، وهي تشير إلى عدم وجود اتصال دائم بينها، أو قيادة مركزية، ولكنها منظمة بشكل جيد، وهي تساعد بعضها بعضاً.

(ثمة حديث تداولته أوساط صحافية، وغير صحافية، حول مؤتمر لجميع فصائل الكفاح السياسي المسلح، عقد في هلسنكي، وأنه قد تم في ذلك المؤتمر السري انتخاب الدكتور وديع حداد بالتزكية

أميناً عاماً أو زعيماً للكفاح السياسي المسلح في العالم. وكان ذلك بداية لتوحيد كل المنظمات العاملة في هذا الحقل. ولكن ميتة الدكتور حداد الغامضة والمفاجئة وضعت حداً لذلك المشروع الجدي والحيوي. والذي كان سيساعد في تطوير هذا النوع من الكفاح، وإبراز شخصيته وأهدافه بشكل أفضل أمام العالم. إنه حديث يفتقر ـ على الأقل لديَّ ـ إلى التوثيق والمعلومات الأكيدة. ولكن كان لا بد من الإشارة إليه، وقد جرى ذلك أوائل الثمانينيات، أي بعد التواريخ الواردة في الملف العتيق).

وفي معلوماتها (النيوزويك) عن التنظيمات الفلسطينية، تأتي بأشياء أصبحت معروفة من الجميع ولا قيمة فعلية لها.

وعن بادر ماينهوف لم تأت بجديد.

أما عن الجيش الأيرلندي الجمهوري فتقول: إنه المسؤول عن أغلبية التفجيرات في بريطانيا. وتشير إلى أن معظم المساعدات بالمال والسلاح تأتيه من أميركا نفسها، من الأميركيين ذوي الأصل الإيرلندي، وهي ناحية ليست معروفة عند الجميع.

كما تؤكد على أن كارلوس، يكاد يكون همزة الوصل بين كل هذه الجماعات.

أما (التايمز ١٩٧٦/٤/١٩) فيدور موضوعها حول ظهور مجموعة إرهابية ليبية، وبقية الحديث غير ذات بال. ثمة ملاحظة يمكن التوقف عندها، وقد فاجأتني لأنها معلومات مغايرة تماماً لمعلوماتي التي استقيتها مباشرة من كارلوس نفسه. وهي أنه حين حاول الهبوط في مطار تونس، أثناء عملية الأوبك، ورفضت السلطات التونسية السماح له بذلك (التفاصيل في لقائه معي) كان سيطلب

إلى التونسيين تسليمه العقيد الليبي المنشق المحيشي، مقابل تسليمه وزراء النفط لهم، وهو أمر مشكوك فيه، ويدخل في نطاق التكهنات، خصوصاً أن علاقته بالليبيين قد ساءت، منذ هبط في المطار الليبي، وخلال المفاوضات معه ورفاقه، والتي قادها جلود بنفسه واضطر على إثرها إلى الاقلاع في اتجاه تونس، ثم الجزائر حيث أنهى العملية، الأمر الذي لم أذكره في مقابلتي معه.

والنتيجة، أن ذلك الملف العتيق، والذي أحضره إليَّ روبرت فيغير قبيل اغتياله العام ١٩٧٩، والذي كنت أظن أن فيه ما يستحق الذكر خيبني. ولكنني أحببت أن أقدم بعض ما جاء فيه، ربما فقط، لأذكر به، بالصحافي الألماني فيغير، الذي كان شديد الذكاء، شديد الاندفاع حدّ التهور، الأمر الذي أودى بحياته كما أظن. لعل ما قدمته هنا، يأتي كنوع من التحية، لزوجته الباكستانية الأصل ولابنته الوحيدة، واللتين لا أعرف أين هما الآن، ولا ما حلّ بهما بعيد اغتياله.

قرأت مؤخراً في كتاب روبرت فيسك مراسل «الأنديبندنت» «ويلات حرب» في الصفحة ٥١٧ ما يلي[1]:

«هو (فيغير) مراسل ألماني أخذ إجازة من مجلته العام ١٩٧٧ ليكتب كتاباً عن تهريب الفلسطينيين للأسلحة(!) وبعد تجاهله بجرأة سلسلة من المكالمات التليفونية التي حذرته أن عليه أن يغادر بيروت، قتل على باب منزله من قبل ثلاثة أشخاص على الأقل أطلقوا عليه النار من بنادقهم الأوتوماتيكية».

موضوع الأسلحة هذا أسمع به للمرة الأولى، وكنت أظنه يعمل في موضوع آخر.

ذهب مرة في سفرة قصيرة إلى ألمانيا: هل توصيني بشيء سأل. قلت: أريد منك أن تأتيني بـ«سامبول» رمز إحدى المدن العريقة عندكم، وأفضل هامبورك التي درس فيها أخي أواخر الخمسينيات. وحين عاد بعد أيام، أحضر لي تمثالاً برونزياً صغيراً، لسقّاء من العصور القديمة يحمل على كتفيه عصاة عُلق بها دلوان لنقل المياه وقد كتب على قاعدته الألمانية كلمة «Hummel» قدمه إليَّ وهو يضحك. قال: كانت علاقاتنا، نحن الألمان بالعرب حميمة جداً في العصور الغابرة، كان أجدادنا يحضرون ماء الشرب بهذه الطريقة التي كانت مستعملة عندكم، وربما هي لا تزال كذلك في بعض قراكم النائية. وكان السقاء حين يسير في شوارع القرية أو المدينة يلحق به الأطفال وهم يرددون هذه الكلمة «همل همل» وهي عربية الأصل حتماً، وجاءت من «الحمل». أرأيت، أنني أحاول عبر صداقتي بك وبآخرين إعادة تلك الروابط العتيقة إلى سابق دفئها..

أعجبتني لفتته الذكية. ماذا بقي من تلك العلاقة الإنسانية العابرة؟ بقي تمثال برونزي صغير يحتل أحد رفوف مكتبتي وقد كتب عليه بالألمانية «Hummel».

ماذا بقي من «الإرهاب» العالمي الذي كان في أوجه في السبعينيات؟ بقي بعضه، الذي لم تتوقف مصادر دعمه وتمويله بعد، وإن كانت منظماته، في معظمها، قد انتهت. فقد تغيرت الظروف. والحصار الذي وجد كارلوس نفسه فيه، والذي أدى إلى خطفه واعتقاله في نهاية الأمر، وجدت جميع المنظمات نفسها واقعة فيه. فلم نعد نسمع عن بادر ماينهوف ولا عن الجيش الأحمر الياباني، ولا حتى عن الألوية الحمراء الإيطالية. لعل الجيش

الأيرلندي وحده الذي لا يزال يتحرك، والذي تجري هذه الأيام المناورات بين إنكلترا وأميركا لتصفيته وإنهائه.

هي مرحلة انتهت إذاً، ولكنها تستحق التفرغ لها والكتابة عنه في كتاب مستقل. وبقي منها كارلوس، الذي يريد الغرب، وتحديداً أميركا ومعها إسرائيل، أن يحوله إلى مصلوب جديد في هذا العصر، في محاولة لتشويه كل تلك المرحلة...

الهوامش

(١) منذ ثلاث سنوات تقريباً اتصل بي روبرت فيسك طالباً أن يجري معي لقاء حول كارلوس، فاعتذرت، لأنني حتى ذلك الوقت كنت أرفض الخوض في موضوع كارلوس. ولكنه وعد ألا يذكر اسمي في الحديث، وأن يلتزم بدقة بكل ما أقول. وهكذا أجرى معي لقاء مطولاً نشره في «الاندييندنت» بتاريخ ١٩٩٤/٨/٢٠ وقد كان فيه مثال الصحافي الملتزم، فشكراً له.

كلمة أخيرة

لقد أحاق به كثير ظلم، إعلامياً وإنسانياً، منذ البدايات، تماماً كما قال في بداية حديثنا الطويل وفي هذه الأيام بالذات، فلم يعد كارلوس، ذلك الطلسم «المخيف»، أصبح مجرد سجين، العالم كله يقف إلى جانب، وهو وحده، يقف وحيداً وراء القضبان.

كنت أحس منذ البداية، إن ما ينتظره هو المأساة. ولكنني، كنت أتصورها مأساة على شيء من الاختلاف، ربما الجمال أيضاً. كنت أريد له نهاية تليق به، وها هوذا الآن الرمز الوحيد الباقي، لمرحلة انقضت. وقد هجم تتار الأجهزة للإجهاز عليه، وكل يريد نصيبه في الوليمة المقامة في باريس على أشلاء تلك المرحلة.

العنف الثوري، هل غابت ملامحه نهائياً، عن عالمنا المستسلم، كالبهم في زريبة عفنة، لإرادة اليانكي الأميركي؟ هل ضاع كل شيء، وانتهت أحلام الثوريين، على تعدد مذاهبهم وآرائهم، في عالم آخر، يسوده العدل، وتضيئه شموس الحرية القتيل، على مذبح الرغبات الأميركية الفجة؟

كارلوس، أي صديقي، كم كنت أتمنى لك نهاية كنهاية غيفارا... يقتل في غابة، ما هم إن كان غدراً، فيحملونه بثياب المعركة، ليعرضوه على الملأ، كصورة لانتصارهم المزيف والخسيس، فتبقى الصورة في عيون الأجيال، كرمز أحبوه، وربما آمنوا، أو هم سيؤمنون فيما بعد، بالأهداف التي مات من أجلها.

لم أكن أتمنى لك، وعفوك يا صديقي، أن يأخذوك عنوة، وهم يقودونك إلى أحد المسارح الرومانية العتيقة، والغوغاء من حولك يصرخون، تحركهم شهوة الموت والانتقام المجاني.

لن أدخل في أية تفاصيل، ربما كنت لا أعرفها، وحتى لو عرفتها، فأنا الآخر، يا صديقي، لي الحق أن أخاف، خصوصاً أنني جربت في الماضي. وأظنك سمعت بمحاولة اغتيالي، وقد عبرت من الموت بأعجوبة. أرجو أن تعيش لتقرأ حكاية ذلك الاغتيال في روايتي الجديدة، عنه، أو عن بعضه فقط، فنحن محكوم علينا أن نقتل، وألاّ يكون لنا الحق حتى في التحدث عن مقتلنا!

ليتهم اغتالوك يا صديقي، ليتهم أعطوك الفرصة لتقاتل حتى الرمق الأخير، هم يعرفون أن المرحلة التي تمثلها قد انتهت، وأنك الوحيد الباقي من رموزها، ولهذا فهم يريدون أن ينتقموا منك، لكل خوفهم وجبنهم اللذين عاشوهما أيام تلك المرحلة... أعرف أن الوصول إليك هذه المرة، لم يكن صعباً، فقد ضاقت عليك الدنيا، ضاقت دائرة تحركك، حتى لم يبق أمامك سوى، وأعذرني على التعبير، ذلك الجحر السخيف الذي اعتقلوك فيه واقتادوك إلى حيث أنت الآن، وأعرف أكثر، أنهم باعوها للفرنسيين، لأسباب عديدة، وكان في الإمكان أن يأخذوك مباشرة إلى واشنطن. وأن

يرقصوا حولك، رقصة الانتقام، في حديقة البيت الأبيض، التي كثر فيها الراقصون هذه الأيام. وكل ينتظر دوره على شبق! كم هي الأشياء، التي صار سهلاً عليهم أن يلصقوها بك اليوم وأنت مشبوح إلى جدار حقدهم في زنزانتك...

يحاولون أن يلصقوا بك عملية ميونيخ، وأنا أعرف أنها ليست عمليتك، وأنك لم تأت على ذكرها وأنت تحكي عن عملياتك، رغم ضخامتها. مع ذلك أراها مسجلة في لائحة «جرائمك» على صفحات الصحف.

عملية «عينتيبا» أيضاً، أعرف أنك لم تكن فيها. كنت تعرف تفاصيلها. وقد انتقدتها مرة أمامي، تخطيطاً وتنفيذاً ومع ذلك فهم لا يتورعون عن إلصاقها بك. لكأنهم يريدون إلصاق كل العمليات التي قام بها الإرهاب الدولي، كما يسمونه، بك، انتقاماً من كل تياراته وجماعاته في شخصك أنت.

ويحاولون إلصاق صفة الجشع بك والعمل من أجل المال، فيتحدثون عن مليار دولار قبضتها في عملية الأوبيك. أعرف أنها كانت عملية سياسية وأنك لم تقبض شيئاً. لقد كان كل ما في حياتك وتصرفاتك يدل على أنك لست في بحبوحة عظيمة، وقد التقينا وعشنا معاً بعد تلك العملية. (ويحك يا صديقي كان معك مليار دولار وأنت تعرف أن أوضاعي المادية ليست على ما يرام، ولم «تنفحني» بأي شيء منها؟!) كم تبدو الأمور مضحكة ومحزنة في آن، فأنا أعرف أن آخر همّك كان المال. أعرف أنك كنت تقول، أنك لست ضد المال، ولكنك تريده لتنفقه عليك وعلى الآخرين. إنك تحب الحياة، وحين يكون لديك بعض المال، سريعاً ما تنفقه كما يفعل الكريم... ولكن، أنت خلف القضبان وهم

طلقاء، ويطلقون عليك كل الصفات اللئيمة، لأن الأمر سهل، ووسائل الإعلام الأميركية ـ الصهيونية كلها مكرسة «لعيد المساخر» الذي يريدونك مصلوبا في وسط ساحته.

لقد حاولوا تصويرك، وكأنك ذلك القاتل الذي يقتل بأعصاب باردة دون أية رحمة (أحد الذين كانوا مختطفين في الأوبيك قال ذلك مؤخراً مع أنه لا يزال حياً يتمتع بالمال والجاه ونهب الفقراء). الأعصاب الباردة أعرفها فيك، ولكنها ليست طبيعتك الأصلية، إنها وليدة رياضات نفسية طويلة مارستها، حتى بلغت قدرة الضبط الضرورية لطبيعة عملك.

لو كنت كذلك، لما كنت، كلما تذكرت كيف قتلت ميشال، الذي كان صديقك يوماً، ودفعت به أخطاؤه إلى الوقوع في يد البوليس، فأرغم على خيانة الأمانة، وأصبح لازماً أن يقتل، خصوصاً أنه جاء مع البوليس لتسليمك. أذكر أنك كلما تذكرت تلك اللحظات، كنت تضطرب، وتسوء حالتك النفسية. ولقد قلتها ببساطة: **أن تقتل في معركة شيء مختلف عن أن تطفىء الحياة في عيني إنسان وعن قرب...**

وحاولوا تصويرك، على أنك فاحش مع النساء، وأنك ملأت الدنيا بعلاقاتك الرديئة.

إذا أردت أن تحكم على رجل، فاحكم عليه من طريقة تعامله مع المرأة، هذه حقيقة نعرفها جميعاً، وكنت ذلك الإنسان الذي يجيد التعامل مع المرأة. لم تكن مبتذلاً، كان وجهك يتضرج خجلاً أحياناً، في بعض المواقف النسائية. وقد اجتمعنا مرات عديدة في

جلسات مختلفة، وكان الانطباع الذي تتركه عندهن، وفي معظم الأحيان لم يكنَّ يعرفن من أنت، انطباعاً رائعاً.

كانت لك علاقاتك، أمر طبيعي، كان دائماً في حياتك امرأة، وهو أمر أكثر من طبيعي، ولكن لم تكن مبتذلاً، ولم تكن استعراضياً، كنت إنساناً طبيعياً، ومحبوباً من النساء...

ثمة حكاية سمعتها بعد أن افترقنا، عن بنيّة سمراء بشعر طويل، لديها كلب أبيض جميل. لن أتطرف إلى هذه القصة، لأنني لم أسمعها منك، سأحتفظ بها، فإن جمعتنا الأيام بعد (هل يعقل أن نجتمع بعد؟) سألتك عنها.

حين رأيت صورتك وقد ترهلت (عشرون عاماً ليست هينة في عمر الزمن التي لم أرك خلالها) تذكرت، أنك حتى في تلك الأيام، كان عمرك ٢٧ ـ ٢٨ عاماً. كان يبدو عليك، من حين إلى آخر، بعض السمنة. وحين كنت أسألك تجيبني أنه الـ(training) التمارين.

بعد فترة ألتقيك، فإذا أنت كالسابق مشيق القامة نضراً تضج حيوية. فأعرف أنك عدت إلى تدريباك القتالية والرياضية. فطبيعة عملك تحتم عليك أن تحافظ على لياقتك البدنية...

حين رأيت صورتك وقد بان عليك ما يشبه الترهل، قلت، من زمان لم يعمل كارلوس «ترييننغ». هو لم يعد في حاجة إلى التمارين! أنت في حاجة الآن إلى نوع آخر من التمارين، لمواجهة السجن، إسألني أنا السجين العتيق، الأكثر تجربة في السجون منك، فربما كان هذا هو سجنك الأول يا صديقي، ولعلهم يريدونه الأخير.

أشرت مرة في صفحات سابقة أن كارلوس كان لا يعرف النوم إن لم يغط عينيه بشيء. الواقع أنه كان يفضل النوم عارياً، إنها حالة من إعطاء الجسد حريته، بعد طول احتباس. لعلها رغبة في العودة إلى الحياة الأولى قبل مئات أو آلاف السنين، شخصياً لديَّ مثل هذه العادة التي أحب أن أمارسها حين أكون وحيداً في سكناي، أو مع من لا أخجل منه، إنها تعطيني شعوراً بالحرية أكثر، من يدري، لعلنا نحن الذين نحب الحرية، حدَّ العشق، نريد أن نمارسها حتى مع جسدنا. ثمة تفاصيل أخرى، في حياتنا معاً، أيام كنا نلتقي، لا أحب التطرق إليها. أي صحافي آخر، كان سيبرزها حتماً، ولكنني، وبعد اشتغال سنين طويلة، إلى جانب الكتابة، في الصحافة لم أتحول إلى صحافي بعد، ما زالت طبيعة الفنان تغلب عليَّ

الكتاب لن يكون كبيراً، تماماً كما حكينا في الماضي. إنني فقط أحقق لك رغبة قديمة وحارة. أن ترى كتاباً عنك، ليس فيه أراجيف، ليس فيه ظلم لك. وكيف يكون ظالماً وقد شاركت شخصياً في كتابته، إنه مجرد «نوت» عنك ولكنني أيضاً، لم أكن مجرد ناقل لما تقول، كنت مقتنعاً بالأشياء، وصفتها كما رأيتها من خلالك، ولولا تلك «الغلطة» التي ارتكبها ذلك الصديق، لكان الكتاب منشوراً منذ سبعة عشر عاماً، أي مع بداية العام ١٩٨٠.

هأنذا أنشره الآن، كما أسلفت، لأنني أريد أن أقدم صورة أخرى، جانباً، آخر، غير ذلك الذي تعمل على نشره المخابرات الغربية والصهيونية. أريد أن أقدم كارلوس الإنسان بحسناته وسيئاته. الرجل الذي آمن يوماً بالثورة العالمية وفسّرها بالعنف السياسي المسلح، أنت معه أو ضده فكرياً، هذا شأن آخر، ولكنه هذا هو

كارلوس الحقيقي، وليس تلك الأكاذيب التي تحاول الأجهزة تطويقه بها. أو تلك الصورة البشعة على طريقة «تعالوا تفرجوا على الوحش».

أي صديقي كارلوس، كان بودي أن أكون مفيداً، وما في اليد حيلة، أكثر من نشر هذا الكتاب، كان بودي لو أستطيع شيئاً أكثر من هذا، كصديق عتيق، رغم الجفوة التي حصلت بيننا، وأدت إلى ألاّ نلتقي مجدداً، ولكنني، وبعد مرور كل هذه السنين (٢٠ عاماً) ما زلت أعتبرك ذلك الصديق العتيق، الذي عشت معه أياماً جميلة، على خشونة المكان الذي التقينا فيه وإقفاره من العلاقات الاجتماعية الواسعة والحميمة. كم كنت أتمنى لو أننا التقينا في لبنان مثلاً. ولكن من يدري، لعل خواء الجو من حولنا، جعلنا، ننشد كل إلى الآخر أكثر. فكانت الليالي الطويلة، التي تنقضي في الحديث، في شرب كأس، وأحياناً كثيرة بالصمت. كان في استطاعتي أن أوسع هذا الكتاب، فأجعله أضخم حجماً. ولكنني كنت محكوماً بالنص الأصلي، الذي نشر جزء غير يسير منه، ولكنه يظل كنص، يحتفظ بقيمته، كونه النص الوحيد، الذي كتب بمعرفتك، وشاركت فيه، وكنت موافقاً عليه، إنه اللقاء الوحيد في العالم، وفي تاريخ حياتك ـ الأمر الذي فاجأني شخصياً مؤخراً ـ والذي لم ينشر متكاملاً بعد، والذي فيه صورة مغايرة عما نشر هذه الأيام عنك، وربما كانت، هي الصورة الوحيدة الحقيقية.

قد أستطيع إغناءه كما أسلفت، ببعض المعلومات التي أجمعها أرشيفياً أو من الآخرين، ومما نشر حولك وأنت في سجنك، ولكن ذلك سيفقده عذريته، ومصداقيته.

أي كارلوس، يا صديقي، أنت في سجنك الذي قد يطول. وأنا في

شبه سجن خارج القضبان. يهمني أن تعلم والآن تحديداً، أنني ما زلت ذلك الصديق الذي عرفته قبل عشرين عاماً، والذي وصفته يوماً بالشاعر الرائع، ووصفت نفسك بتلميذه، في الشعر(!) سيظل عاصم الذي عرفته في ذلك الزمان الذي أمسى بعيداً الآن، هو هو عاصم، ابن ضفاف الصحراء، الذي لا يعرف كيف يتأقلم مع المدينة. والذي يحمل الكثير من صفات الصحراء، واندهاش أبنائها أمام مظاهر المدينة. فإن صدر عني بعض ما يوحي بما يشبه الغباء، فاعذر لي عفويتي الصحراوية، وأنا أضيع في زحام المدن.

أنا ابن مدينة على حدود الصحراء اسمها السلمية، والتي قد تجد فيها الكثير من ملامح فنزويلا، أيها الآتي من جبال الآندز الشاهقة والعصية... رياح الجبال العصية، كثيراً ما تشابه رياح الصحراء العاتية.. لعل في هذا يكمن سرّ التقائنا وانسجامنا القديمين.

لك مني الحب والإخلاص والحزن العميق لما آلت إليه الحال معك هذه الأيام!!

(LON-7)JULY.3(AP)-This is a copy of a passport which was found in a London flat wednesday amongst arms cache belonging to a man named "Carlos" and believed connected with the deaths in Paris last week of two French counter-espionage agents. This Chilean passport carried the name Adolfo Bernal. The photograph however was of a man known to his friends as Carlos Martinez and similar to the man being hunted by French police.
(AP WIREPHOTO) - 5ma. (PRE.UKOUT/GDN) 1975

2

FILIACION
PERSONAL DESCRIPTION

Cédula de Identidad / Identification Card: 4365201
Nacionalidad / Nationality: CHILENA
Nacido el / Date of birth: 1 - JULIO - 1947
Estado civil / Marital status: SOLTERO
Profesión / Profession: INGENIERO
Domicilio / Address: PEDRO TORRES 360
Observaciones / Notes:

C № 035848 1971 3

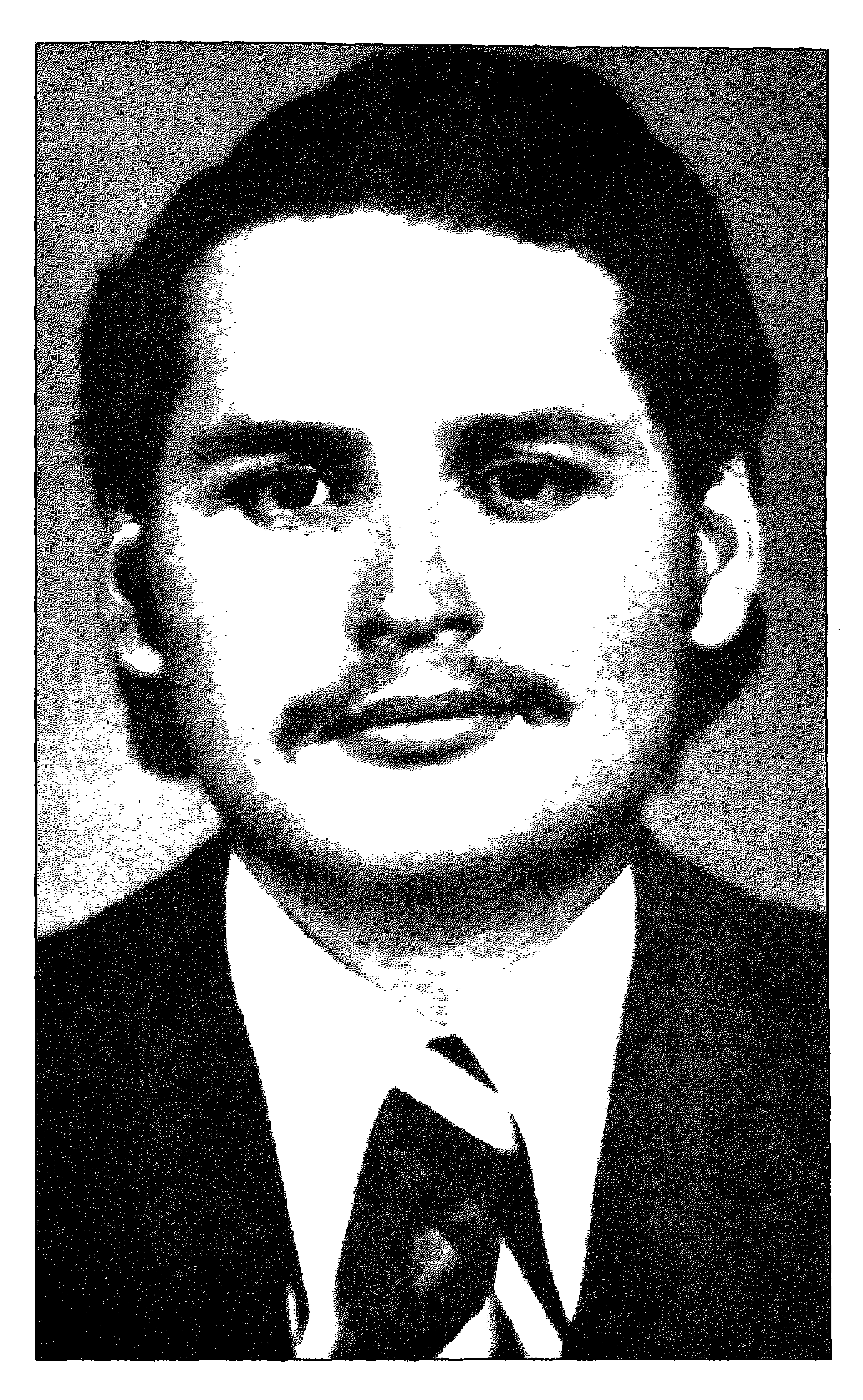
FILIACION
PERSONAL DESCRIPTION

REGISTRO CIVIL E IDENTIFICACION DE QUILLOTA Dpto. de Quillota

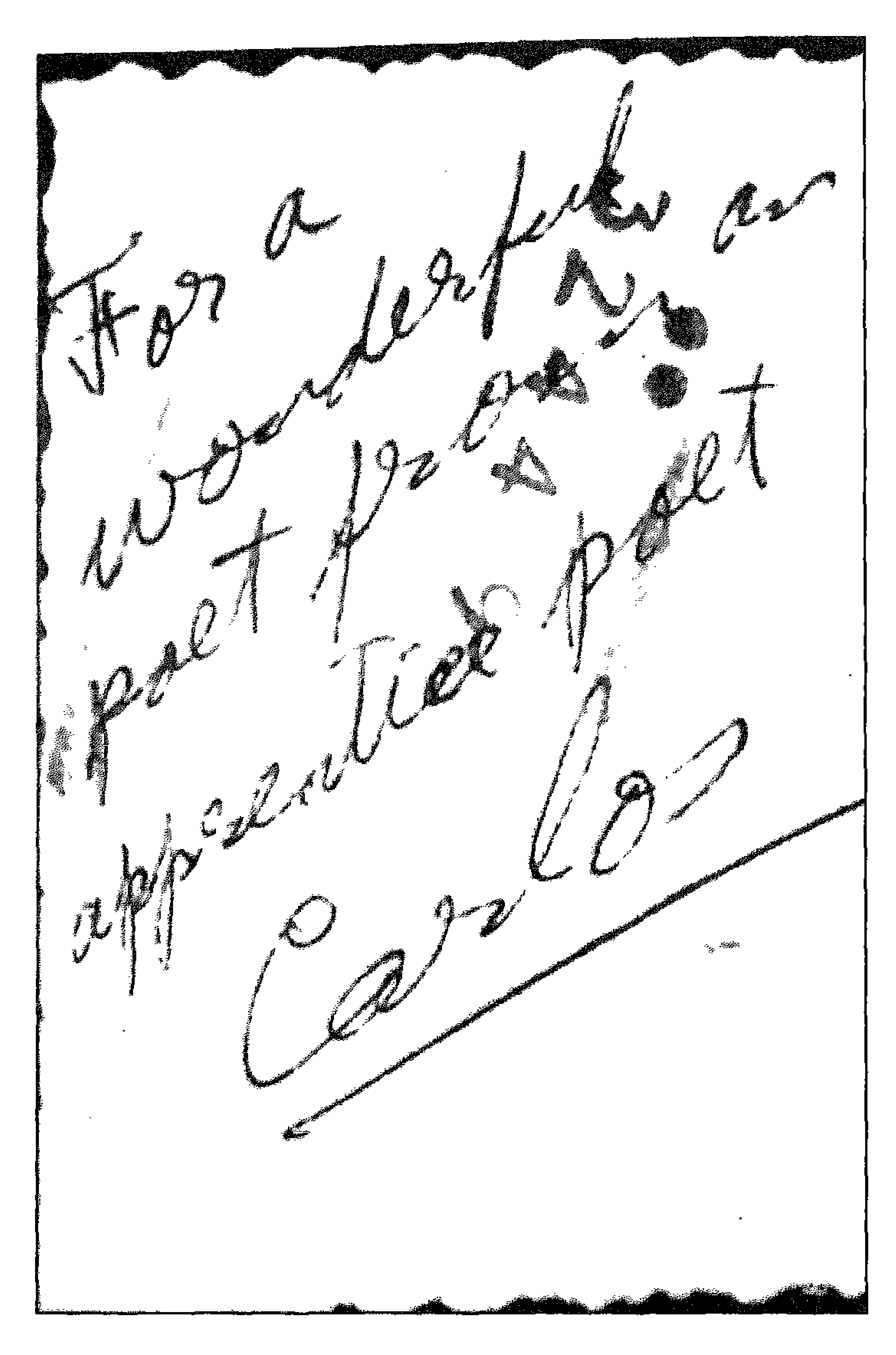
DIGITO PULGAR
THUMB PRINT

Aj. Callés B.
FIRMA DEL TITULAR
SIGNATURE OF BEARER

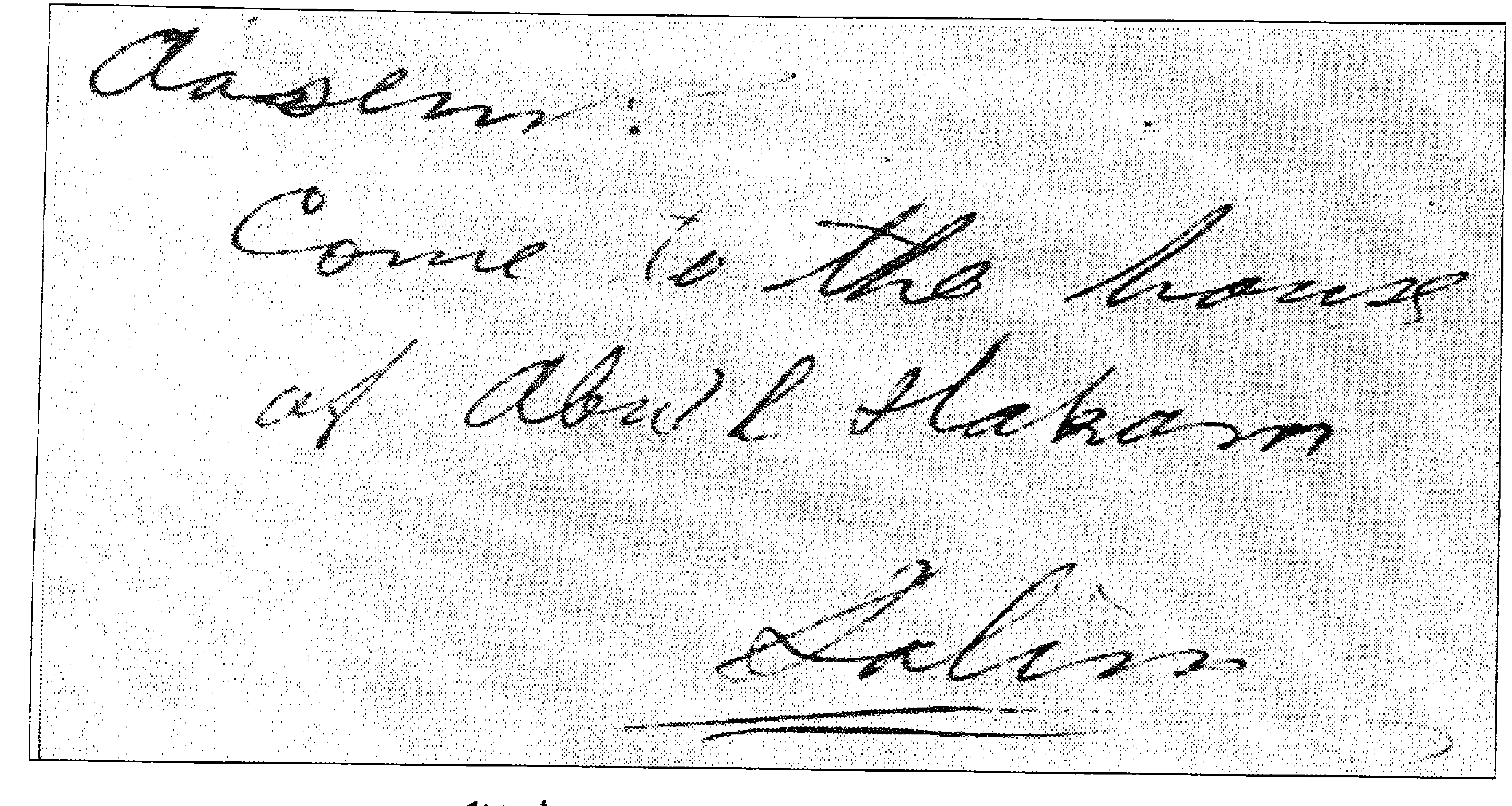
بطاقة الهوية التي ضاعت منه وقال لي إن صورته فيها حقيقية ولم تعد سراً، حين أصر على إعطائي صورته



الصورة التي انتقيتها من ست صور «باسبور»
وقد نشرتها في العام ١٩٧٩

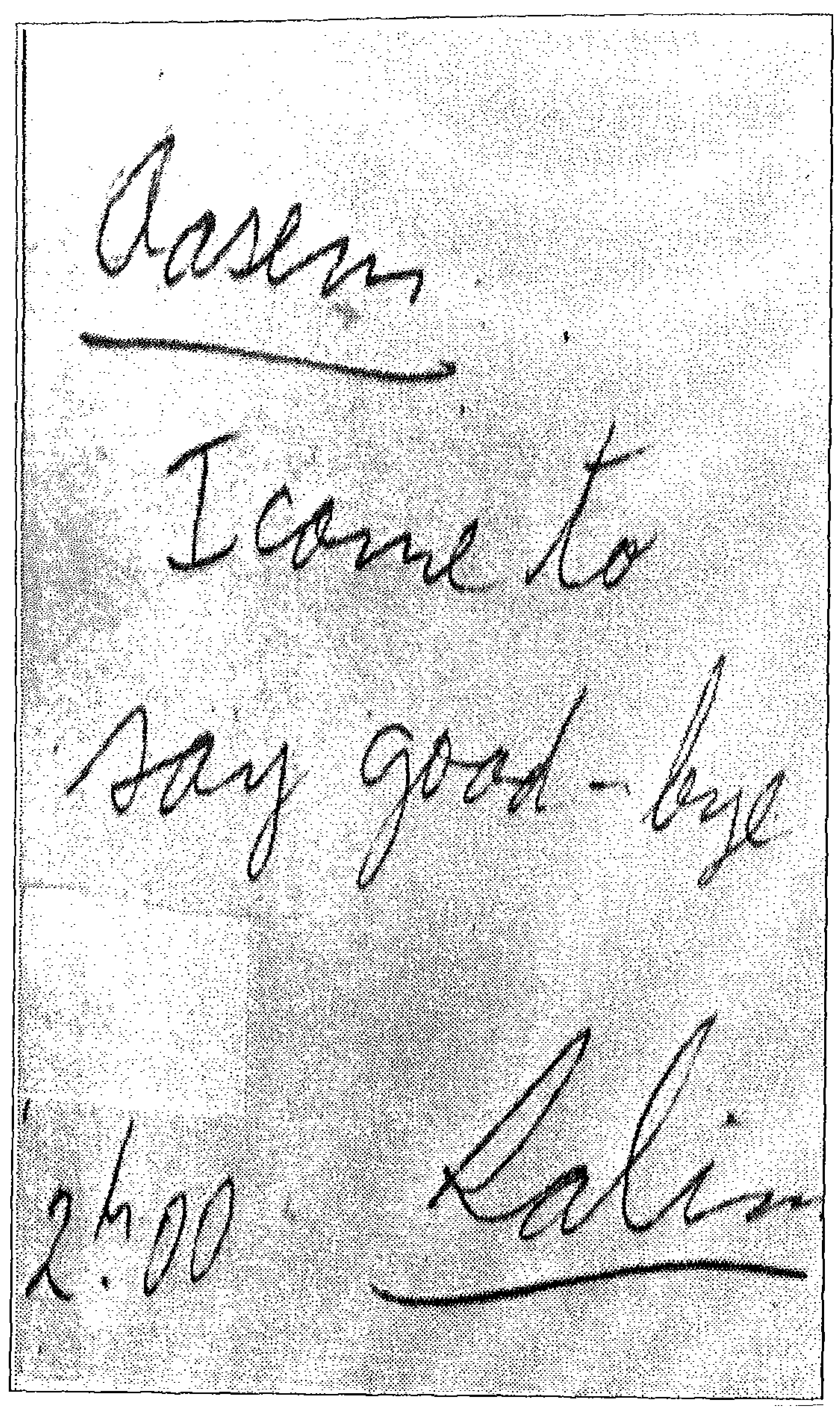


اهداؤه خلف الصورة: «إلى شاعر طريف من تلميذه في الشعر»



Aasim:
Come to the house
of Abul Hakam

بطاقة تركها بباب بيتي تقول: «انتظرك في بيت أبو الحكم»



Qasem

I came to
say good-bye

2:00 Dalia

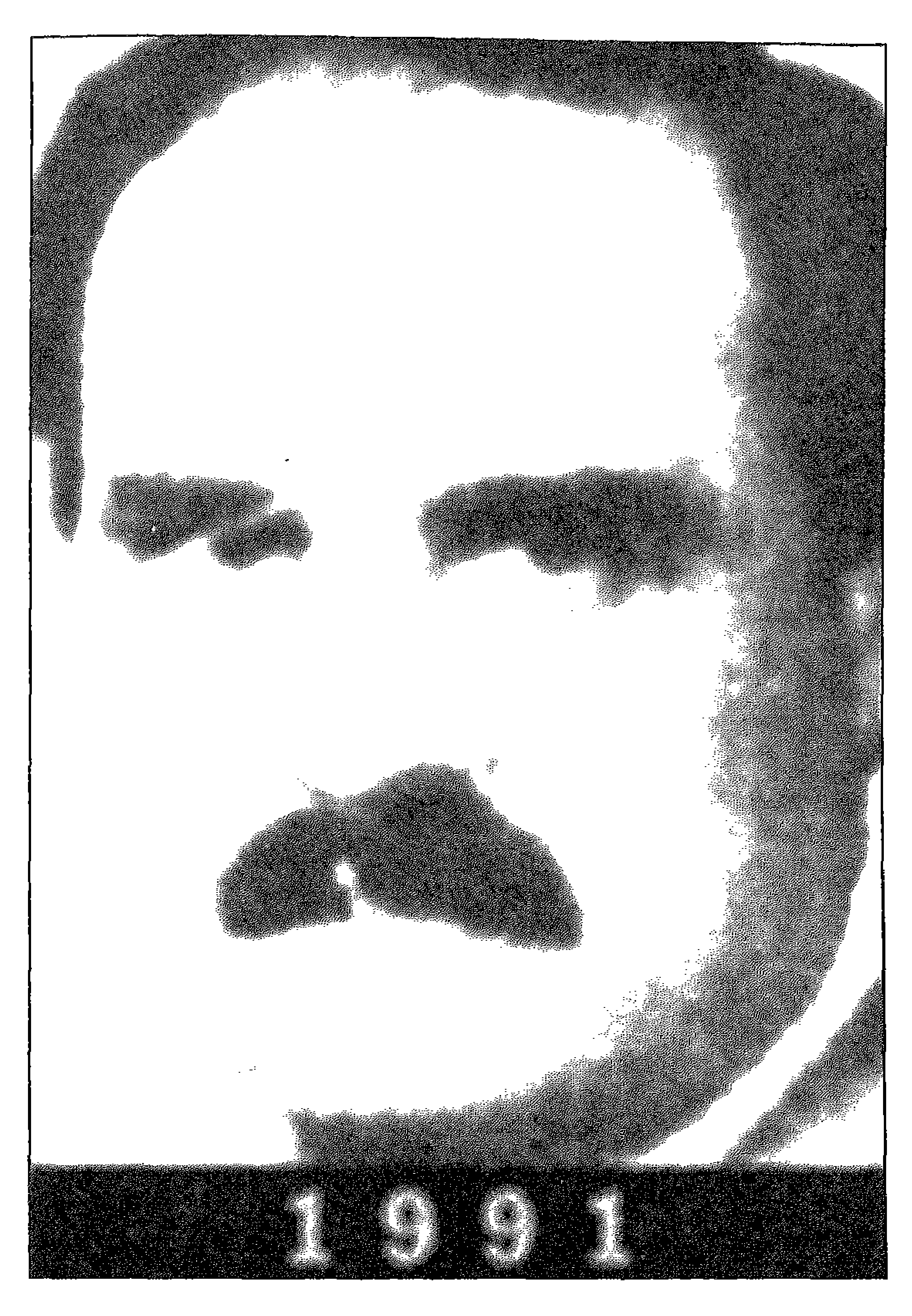
بطاقة ثانية وجدتها بالباب: «أتيت لأراك. وداعاً»



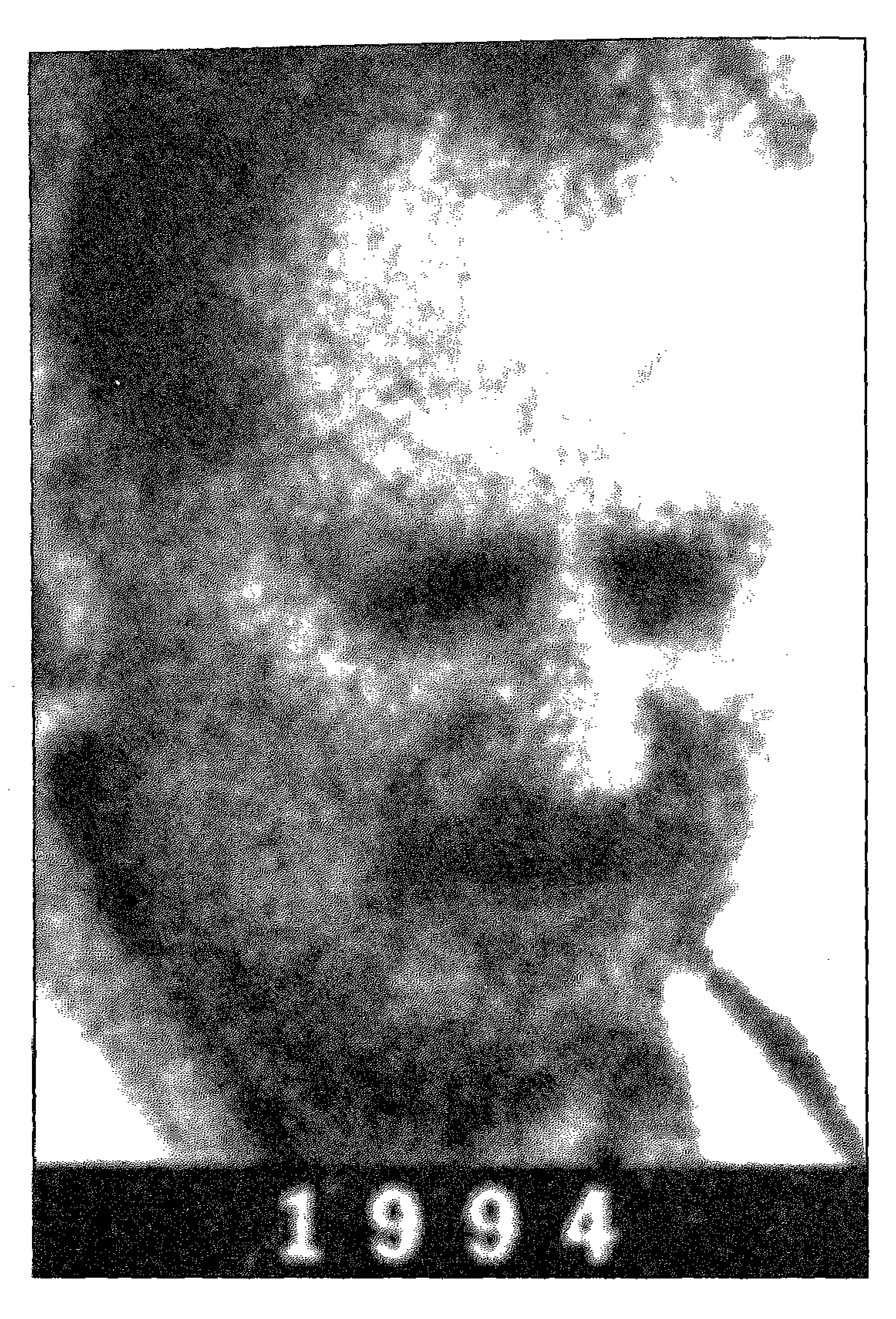
في هذه البناية وسط لندن كان يسكن



كارلوس في العام ١٩٧٦



كارلوس في العام ١٩٩١



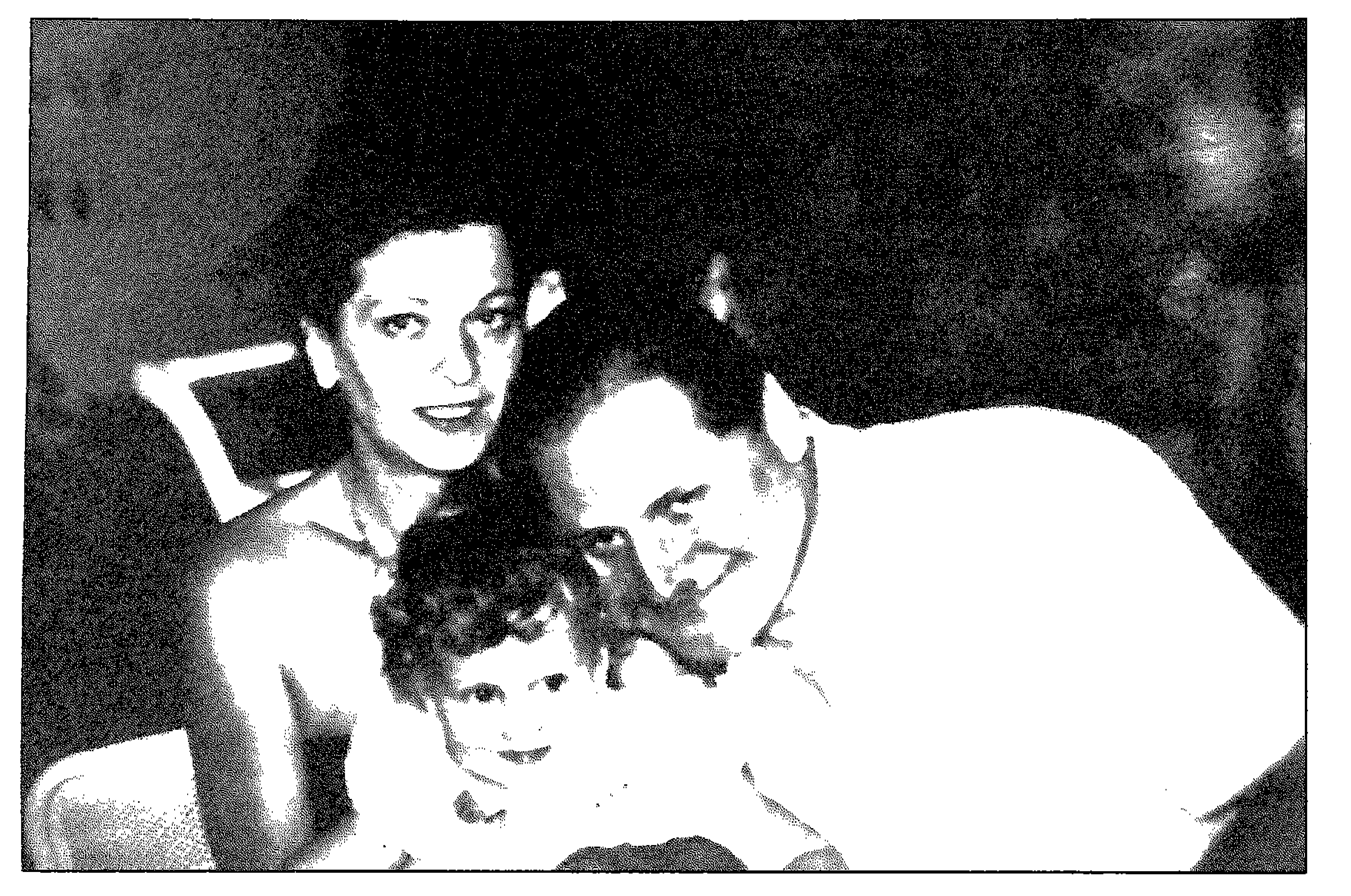
كارلوس في العام ١٩٩٤ إثر اختطافه



أثناء عملية الأوبك الشهيرة



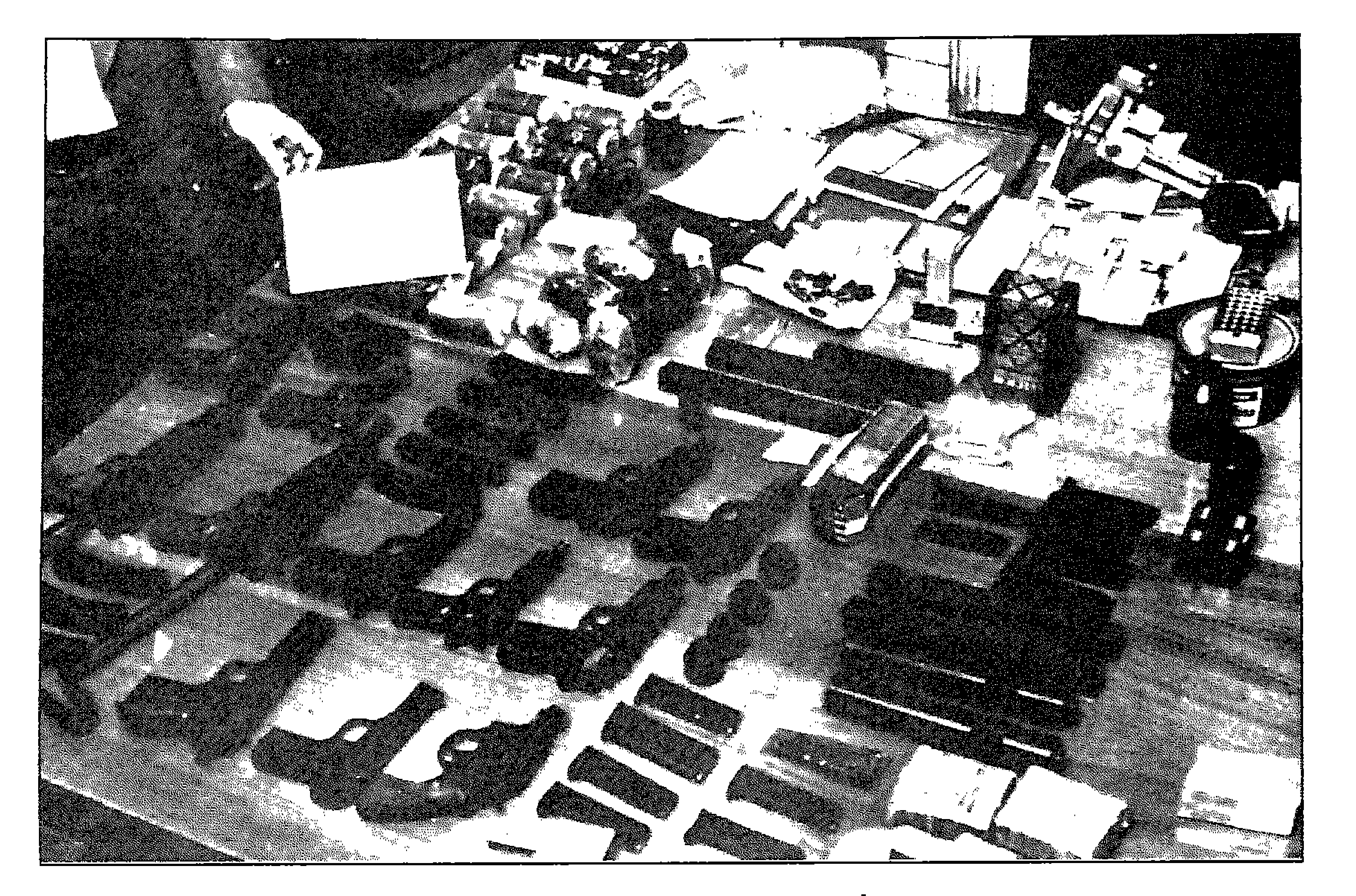
صورة له من بعيد أثناء عملية الأوبك



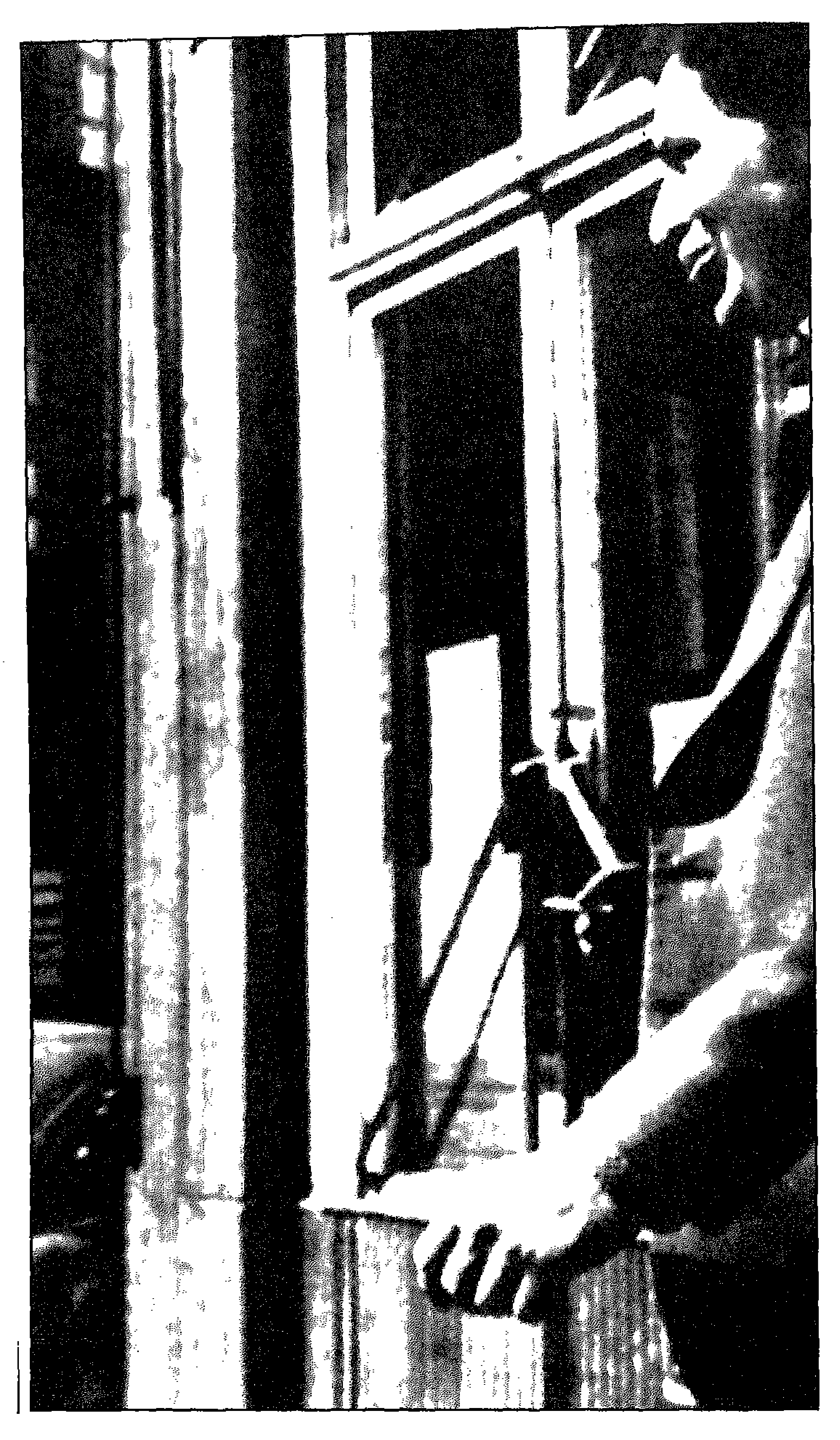
آخر صورة له مع زوجته وابنته قبيل اختطافه



في إحدى الحفلات آخر أيامه في السودان



مجموعة من الأسلحة ادعى البوليس أنه وجدها في أحد مخابئه



صورة جانبية ادعى البوليس الفرنسي أنه أخذها له من بعيد



أيضاً صورة من بعيد لعملية الأوبك

فهرس الأعلام

غ

ف

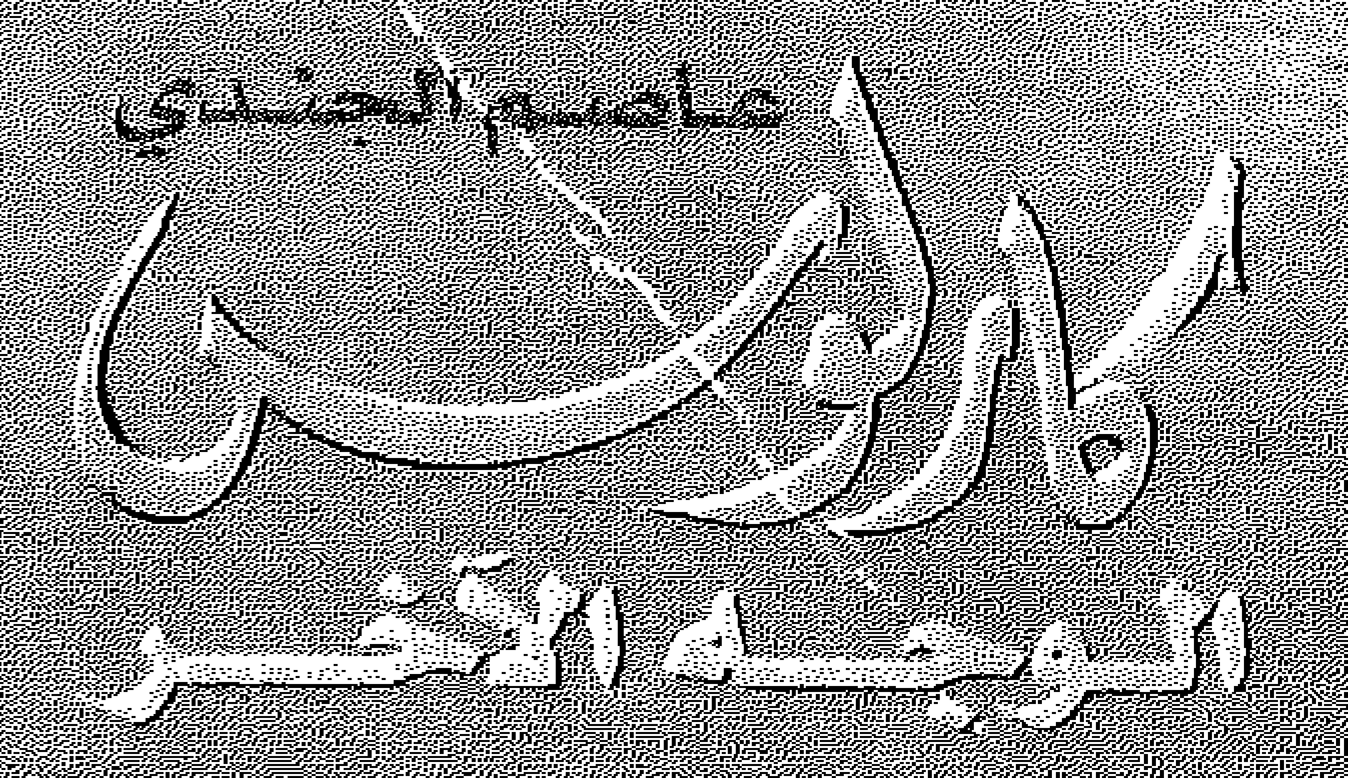
ك

ل

م

ن

فهرس الأماكن



كانت وحدات مكافحة الإرهاب في الغرب تصرخ كارلوس، ووحدات البوليس أيضاً تصيح كارلوس، والمخابرات، بدورها، تهمس كارلوس، بينما يبقى كارلوس سراً في بئر، ولغزاً في متاهة، ووجهاً يتخفى تحت ألف قناع وقناع.

من أميركا اللاتينية إلى لندن وباريس وقبرص وبغداد.. من الحزب الشيوعي الفنزويلي إلى الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين الخ، وكارلوس اسم مشدود إلى قوس الرعب، وسهم الموت الذي يشن حرباً قتّالة لا هوادة فيها.

في هذا الكتاب لعاصم الجندي، سوف يعثر القراء على أروع القصص، على ما يفاجئ ويشوّق ويصدم، سيتعرفون على الوجه الآخر لكارلوس كما لم يعرفوه من الصحف والمجلات ووكالات الأنباء، ومن المسلسلات والأفلام الأميركية التي تناولته. فهاهنا سوف يجدون كارلوس، الإنسان، عارياً إلا من ورقة التين.




185513280X